فهرس الشيعة في الاسلام

مقدمة المترجم .

تعريف بالكتاب :

تعريف بالكاتب :

مقدمة المؤلف :

كيفية نشوء الشيعة وتطورهم .

بداية نشوء الشيعة .

سبب انفصال الاقلية الشيعية عن اكثرية السنة , وظهور الاختلافات .

موضوعا الخلافة والمرجعية العلمية .

الطريقة السياسية للخلافة الانتخابية , ومخالفتها للفكر الشيعي .

انتها الخلافة الى اميرالمؤمنين (ع) وسيرته .

ما حصل عليه الشيعة طوال خلافة الامام علي (ع) في خمس سنوات .

انتقال الخلافة الى معاوية وتحولها الى ملوكية موروثة .

الايام العصيبة التي مرت بالشيعة .

استقرار ملوكية بنى امية .

الشيعة فى القرن الثانى للهجرة .

الشيعة فى القرن الثالث للهجرة .

الشيعة فى القرن الرابع للهجرة .

الشيعة فى القرن الخامس وحتى القرن التاسع الهجرى .

الشيعة فى القرن العاشر والحادي عشر للهجرة .

الشيعة فى القرن الثانى عشر وحتى القرن الرابع عشر للهجرة .

انشعاب بعض الفرق وانقراضها.

الزيدية .

الاسماعيلية وانشعاباتها.

النزارية والمستعلية والدروزية والمقنعة .

الشيعة الاثنا عشرية , واختلافها مع الزيدية والاسماعيلية .

موجز عن تاريخ الشيعة الاثنى عشرية .

الفكر الدينى لدى الشيعة .

المصادر الرئيسية للفكر الديني في الاسلام .

الطرق التي يعرضها الاسلام للفكر الديني .

الاختلاف بين هذه الطرق الثلاثة .

الظواهر الدينية واقسامها.

حديث الصحابة .

بحث آخر في الكتاب والسنة .

ظاهر القرآن وباطنه .

تاويل القرآن .

تتمة البحث عن الحديث .

الشيعة والعمل بالحديث .

التعلم والتعليم العام في الاسلام .

الشيعة والعلوم النقلية .

التفكر العقلي والفلسفي والكلامي .

مدى قدم الشيعة في التفكر الفلسفي والكلامي في الاسلام .

الشيعة يهتمون دائما بحقل الفلسفة وسائر العلوم العقلية .

لماذا استقرت الفلسفة عند الشيعة ؟.

خمسة من نوابغ علما الشيعة .

الانسان ودركه للعرفان .

ظهور العرفان فى الاسلام .

ارشاد الكتاب والسنة الى معرفة النفس , ومناهجها.

المعتقدات الاسلامية من وجهة نظر الشيعة الامامية .

معرفة اللّه :

النظر الى الكون عن طريق المخلوقات والواقعيات ضرورة وجود اللّه تعالى .

نظرة اخرى عن طريق ارتباط الانسان بالعالم خاتمة الفصل وحدانية اللّه تعالى

وحدانية اللّه تعالى .

الذات والصفات .

معانى صفات اللّه تعالى .

مزيد من التوضيح فى معانى الصفات .

صفات الفعل .

القضا والقدر.

الانسان والاختيار.

معرفة النبي (ص):

نحو الهدف ـ الهداية العامة .

الهداية الخاصة .

العقل والقانون .

الشعور المرموز, او ما يسمى ب(الوحي).

الانبيا وعصمة النبوة .

الانبيا والشرائع السماوية .

الانبيا ودليل (الوحي) والنبوة .

عدد الانبيا.

الانبيا اولوالعزم , حملة الشرائع السماوية .

نبوة محمد (ص).

النبي الاكرم (ص) والقرآن .

الانسان روح وجسم .

مبحث في حقيقة الروح من منظار آخر.

الموت من وجهة نظر الاسلام .

عالم البرزخ .

يوم القيامة ـ المعاد.

بيان آخر.

استمرار الخلقة وتعاقبها.

معنى الامام .

الامامة وخلافة النبي الاكرم (ص) في الحكومة الاسلامية .

تاييد للاقوال السابقة .

الامامة في العلوم التشريعية .

الفرق بين والنبي والامام .

الامامة في باطن الاعمال .

ائمة الاسلام وقادته .

موجز عن حياة الائمة الاثنى عشر.

الامام الاول :

الامام الثاني :

الامام الثالث :

الامام الرابع :

الامام الخامس :

الامام السادس :

الامام السابع :

الامام الثامن :

الامام التاسع :

الامام العاشر:

الامام الحادي عشر:

الامام الثاني عشر:

النواب الخواص .

بحث في ظهور المهدي (عج) من وجهة نظر العامة .

بحث في ظهور المهدي (عج) من وجهة نظر الخاصة .

رد على الشبهات .

البلاغ المعنوي للشيعة .

تاليف : العلا مة الكبير السيد محمد حسين الطباطبائي .
الشيعة في الاسلام .

مقدمة المترجم

تعريف بالكتاب :

قد يتسال بعضهم , من هم الشيعة ؟ وما هو التشيع ؟ متى وجد؟ وكيف نشا؟ والى آخر ذلك من الاسئلة .
فقال بعض انهم فرقة استحدثت وتشعبت من الاسلام , وقال آخرون انهم غلاة ليسوا بمسلمين , وذهب جماعة الى انهم فرقة ضالة مضلة لايربطهم بالاسلام رابط, ومالى ذلك من الاقوال كتاب ((الشيعة في الاسلام)) تحقيق جاد في تعريف الشسيعة من جميع جوانبهم ,لمن لم يتعرف على الفكر الشيعي فهو يجيب على جميع تلك التساؤلات ويرد على الشبهات التي طالما تمسك بها الاعدا فجعلوها ذريعة , للحط من شان الشيعة ومقامهم .
لقد عالج المؤلف هذا الهدف دون تعرض لاهل السنة , في حين يقف مدافعا عن اصالة الشيعة , ويبين علل نشوئهم , وقد حاول المؤلف ان يعرض التشيع , وهو جانب من الاسلام الاصيل , بعيدا عن التفرقة والانشقاق في صفوف المسلمين .
جا الكتاب مبسطا وبلغة يفهما الجميع , لا يستغني عنه الشيعة ذاتهم وخاصة الشباب .
لقد قسم المؤلف قدس سره بحثه القيم هذا الى ثلاثة فصول , استعرض خلالهاتاريخ الشيعة ومعتقداتهم وعلومهم .
فبحث في الفصل الاول , كيفية نشؤ الشيعة وانقساماتها, وموجزا عن تاريخ الشيعة الاثنى عشرية واستعرض في الفصل الثاني , الفكر الشيعي , والطرق التي ينتهجهافي الاحتجاج , من ظواهر دينية او بحوث عقلية وتناول في الفصل الثالث , اصول الدين وفروعه من وجهة نظر الشيعة , في الله سبحانه وصفاته , وفي معرفة النبي (ص) والوحي ,وفي المعاد, وفي الامامة , والفرق بين النبي والامام وموجز عن تاريخ الائمة الاثنى عشر (ع) ومبحث في ظهور المهدي ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ.

تعريف بالكاتب :

ولد المؤلف العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في بيت علم وفضل , في بيت له تاريخ طويل في خدمة شريعة الاسلام ومنهج الرسول واهل بيته , اذ ان اربعة عشر من اجداد المؤلف كانوا من العلما المبرزين في مدينة تبريز الايرانية .
ولد سنة ١٣٢١ للهجرة , فتابع دراسته الاولية هناك , ثم رحل الى النجف الاشرف سنة ١٣٤٤ ه, ومكث هناك , مدة لا تقل عن عشرة سنوات , اكتسب خلالهامختلف العلوم الاسلامية , فدرس الفقه والاصول , والفلسفة والرياضيات والاخلاق , ثم رجع الى موطنه سنة ١٣٥٤ ه.
لم يكتف بدراسة الفقه والاصول بشكلها المبسط, وانما تعمق في دراسة هذين العلمين , وتناول دراسة علم النحو والصرف ايضا, ودراسة الادب العربي , وتطرق الى دراسة علم الرياضيات القديم كـ((اصول)) اقليدس و((المجسطي)) لبطليموس , و الفلسفة وعلم الكلام والعرفان والتفسير ايضا.
ذاعت شهرته في ايران , بعد ان هاجر من مسقط راسه الى مدينة قم , اثرالحوادث السياسية للحرب العالمية الثانية , فاقام فيها سنة ١٣٦٥ ه, وشرع بتدريس الفسير والحكمة والمعارف الاسلامية , ولم يتوان في مناقشة ومحاججة المخالفين ,فارشد العديد منهم الى طريق الحق والصواب .
كان لمحاضراته في الحوزة العلمية , اثر بليغ في طلابها, بل شملت المثقفين ايضا فكانت لقاااته مع الاستاذ ((هنري كربن)) مستمرة في كل خريف , يحضرها جمع من الفضلا والعلما, تطرح فيها المسائل الدينية والفلسفية , فكانت لها نتائجها المثمرة .
ومن الجدير بالذكر ان تلك اللقات والمباحثات لم يكن لها نظير في العالم الاسلامي , منذ القرون الوسطى حين كان التلاقح الفكري بين الاسلام والمسيحية .
احيا العلامة الطباطبائي , العلوم العقلية وتفسير القرآن , فاهتم بتدريس الحكمه ,فشرع بتدريس كتاب ((الشفا)) و((الاسفار)).
كان يمتاز بد ماثة الخلق , فكان عاملا رئيسيا في شد الطلاب الى محاضراته القيمة , اذ كان يحضرها المئات , فنال الكثير منهم درجة الاجتهاد في الحكمة , واصبحواااساتذة قادرين على تدريسها.
كان العلامة يحرص على الاخلاق وتزكية النفس فضلا عن اهتمامه بالحكمة والعرفان , ويمكن القول بانه

اسس مدرسة جديدة في التربية وعلم الاخلاق , فقدم للمجتمع نماذج تتصف باخلاق اسلامية عالية , وكان يؤكد كثيرا على ضرورة تلازم التعاليم الاسلامية مع التربية المدرسية ويعتبرها من المسائل الاساسية في المعارف الاسلامية , الا انه من المؤسف لم يراع هذا الامر في المدارس الحديثة ببلاد المسلمين .

مؤلفاته :

١) تفسير الميزان فى (٢٠) جزا باللغة العربية , وترجم الى الفارسية والانجليزية .
٢) مبادي الفلسفة وطريقة المثالية , مع شرح وهوامش للعلامة الفيلسوف مرتضى مطهري .
٣) شرح الاسفار لصدرالدين الشيرازي , في ستة مجلدات .
٤) حوار مع الاستاذ ((هنري كربن)) في مجلدين .
٥) رسالة في الحكومة الاسلامية , طبعت بالعربية والفارسية والالمانية .
٦) حاشية الكفاية .
٧) رسالة في القوة والفعل .
٨) رسالة في اثبات الذات .
٩) رسالة في الصفات .
١٠) رسالة في الافعال .
١١) رسالة في الوسائط.
١٢) الانسان قبل الدنيا.
١٣) الانسان في الدنيا.
١٤) الانسان بعد الدنيا.
١٥) رسالة في النبوة .
١٦) رسالة في الولاية .
١٧) رسالة في المشتقات .
١٨) رسالة في البرهان .
١٩) رسالة في المغالطة .
٢٠) رسالة في التحليل .
٢١) رسالة في التركيب .
٢٢) رسالة في الاعتبارات .
٢٣) رسالة في النبوة والمنامات .
٢٤) منظومة في رسم خط النستعليق .
٢٥) علي والفلسفة الالهية .
٢٦) القرآن في الاسلام .
٢٧) الشيعة في الاسلام , (الكتاب الحاضر).

هذا فضلا عن المقالات المتعددة التي كانت تنشر في المجلات العلمية آنذاك .

لعل من اهم آثار العلامة ومؤلفاته هو كتابه ((الميزان في تفسير القرآن)) ويعتبرمن التفاسير القيمة لهذا العصر, فقد خدم هذا التفسير المجتمع الاسلامي , كما خدمت التفاسير القيمة القديمة المسلمين , بتناسبها وتلازمها مع العلوم والفلسفة حينئذ, لفهم معاني القرآن في العصور السالفة .

لقد اتخذ العلامة نهجا خاصا في تفسيره هذا, اذ يبتني على نص الحديث , وهوتفسير القرآن بالقرآن .

لقد قضى العلامة عمرا في خدمة الدين الحنيف , والمجتمع الاسلامي , فكان ـولايزال ـ منارا لرواد الفضيلة والعلم , فقد انار الطريق للعديد ممن قراوا مصنفاته ,وحضروا مجلسه , فمنحهم روحا علمية خالصة واتجاها فكريا سليما, حفظه الله تعالى ,وايده , ومنحه الصحة والعافية .

مقدمة المؤلف :

الكتاب الذي بين ايدينا ((الشيعة في الاسلام)) يعرب عن حقيقة مذهب التشيع وماهيته , وهو احد المذهبين الاسلاميين الرئيسيين ((الشيعي والسني)).

يستعرض الكتاب كيفية نشوٴ المذهب الشيعي واسلوب التفكير الديني لدى الشيعة والمعارف الاسلامية من وجهة نظرهم .

الدين : لا شك فى ان اي انسان يميل في حياته الى ابنا جنسه , ولا تخلو اعماله التي يقوم بها في بيئته , من صلة بعضها ببعضها الاخر, كالاكل والشرب , والسكون والحركة , والنوم واليقظة في الوقت الذي تنفصل كل من هذه الافعال والحركات عن الاخرى , تكون مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا.

على هذا الاساس , فان الاعمال التي يقوم بها الانسان في حياته , تتحقق في حدود نظام لا يتعداه وتنبع من

نظرة معينة , الا وهي ان الانسان يريد ان يحيى حياة سعيدة , يظفر بماله وامنياته وبعبارة اخرى , يطمح الانسان قدر استطاعته الى تحقيق متطلباته بصورة اكمل وما ذلك الا للحفاظ على وجوده وبقائه .
وانطلاقا من هذه النظرة , بات الانسان ينظم اعماله وفق قوانين واحكام , وضعهابميله , او اقتبسها من آخرين وبالتالي نجده يتخذ اسلوبا خاصا في حياته فهويكدويسعى من اجل اعداد متطلبات حياته , لانه يعتبرها من الاسس والمقو مات لها.
فهو يبادر الى تناول الما والطعام , ليسد بهما عطشه وجوعه , لان الاكل والشرب , حاجتان ضروريتان لاستمرار الحياة .
ان هذه القوانين التي تحكم حياة الانسان تبتنى على اعتقاد اساسي والانسان يعتمد عليها في بنا علاقاته , وهو تصوره عن الحياة والكون , والذي هو جز منه ,وتاملاته عن حقيقتها, ويتضح هذا الموضوع بالتامل في الارا المختلفة التي يرتايهاالناس في حقيقة العالم .
فالذين يحصرون الوجود في هذا العالم المادي المحسوس , ويعدون الانسان كائنا ماديا محضا (يحيى بتدفق الحياة في جسمه , ويفنى بالموت) فان نظرتهم هذه الى الحياة نظرة مادية بحتة , فهم يسعون الى تحقيق متطلباتهم المادية , ويبذلون في هذاالسبيل قصارى جهودهم لتذليل الظروف والعوامل الطبيعية لاغراضهم ومصالحهم الخاصة .
واما الذين يعتقدون بان عالم الطبيعة من صنع خالق اعلى شانا من الطبيعة , مثل عبدة الاوثان , فانهم يذهبون الى ان العالم مخلوق , وخاصة الانسان وقد اسبغ الخالق نعمه عليه , كي ينعم بخيراتها, فهم ينسقون برامج حياتهم وفقا لرضى الخالق , مبتعدين عن سخطه وغضبه , فاذا ما استطاعوا جلب رضاه , فنعمه موفورة مغدقة عليهم , واذازالت انعم فدليل سخطه عليهم .
وهناك من يعتقد بالله سبحانه وحده , ويرى ان حياة الانسان خالدة , وهومسؤول عن اعماله خيرها وشرها ويقر بيوم الجزا (القيامة) كالمجوس واليهودوالنصارى والمسلمين , فهم يسلكون طريقا فى حياتهم , مراعين فيه هذا الاصل الاعتقادي , كي يحصلوا على سعادة الدارين الدنيا والاخرة .
ان مجموع هذه المعتقدات والاسس (الاعتقاد بحقيقة الانسان والكون) ومايلازمها من احكام وانظمة متناسقة , والتي تدخل في نطاق عملهم في الحياة ب((المذهب))مثل مذهب التسنن والتشيع في الاسلام , او مذهب الملكاني والنسطوري في المسيحية .
وبنا على ماتقدم يستحيل على الانسان ـ وان كان منكرا لوجود الله تعالى ـ ان يكون في غنى عن الدين (دستور الحياة الذى بني على اصل اعتقادي) فالدين اذن طريقة الحياة التي لا تنفك عنها.
والقرآن الكريم , يشير الى ان الانسان لابد ان ينتهج الدين طريقا له ومسلكا,وهذا الطريق قد جعله الله تعالى للبشر كافة وبانتهاجه يصل الى الله جل وعلا.
ولكن الامر يختلف بالنسبة الى الافراد, فاما الذين سلكوا الدين الحق وهوالاسلام فقد سلكوا طريق الصواب واما الذين مالوا عن هذا الطريق فقد ضلوا ضلالامبينا.
الاسلام : الاسلام لغة , هو الانقياد لامر الامر ونهيه بلا اعتراض , وقد اطلق القرآن الكريم , كلمة الاسلام على هذه الدعوة , واطاره العام هو تسليم الانسان امام رب العالمين والا يعبد الا الله الواحد الاحد, والا يتبع الا اوامره .
والقرآن الكريم يخبرنا ان ابراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ هو اول من سمى هذاالدين بالاسلام , ومتبعيه بالمسلمين .
الشيعة : يراد بها الاتباع وتطلق على الذين يرون ان الخلافة بعد النبى (ص)منحصرة في اهل بيته والمراد منها في المعارف الاسلامية التابعون لاهل البيت ـ عليهم السلام ـ.
الفصل الاول :

كيفية نشؤ الشيعة وتطورهم

١.بداية نشؤ الشيعة

يجب ان نعلم ان بداية نشؤ الشيعة , والتي سميت لاول مرة بشيعة علي (اول امام من ائمة اهل البيت (ع) وعرفت بهذا الاسم كانت في زمن النبي الاكرم (ص), فظهورالدعوة الاسلامية وتقدمها وانتشارها خلال ثلاث وعشرين سنة , زمن البعثة النبوية ,ادت الى ظهور مثل هذه الطائفة بين طحابة النبي الاكرم (ص):
الف) وفي الايام الاولى من بعثته (ص) امر بنص من القرآن الكريم ان يدعوعشيرته الاقربين , و صرح في جمعهم ان اول من يبايعني على هذا الامر سيكون خليفتي ووصيي من بعدي , فكان علي (ع) اول من تقدم , وقبل الاسلام , والنبي قبل ايمانه , وتعهد بكل ما وعده به , ويستحيل عادة على قائد نهضة , وفي ايامها الاولى ان يعين احد اصحابه وزيرا وخليفة له على الاخرين , ولا يعرفه للخلص من اصحابه واعوانه , او ان

يكتفي بهذا الامتياز ليعرفه وليعرفه , ولا يطلعه على مهمته طوال حياته ودعوته , او ان يجعله بعيدا عن مسؤوليات الوزارة والخلافة ويغض النظر عن مقام الخلافة وما يجب ان يبدي لها من احترام وتقدير, ولا يفرق بينه وبين الاخرين .
ب) ان النبي الاكرم (ص) وفقا للروايات المستفيضة والمتواترة عن طريق اهل السنة والشيعة , والتي يصرح فيها ان عليا عليه السلام مصون من الخطا والمعصية في اقواله وافعاله , وكل ما يقوم به فهو مطابق للدعوة وللرسالة , وهو اعلم الناس بالعلوم الاسلامية وشريعة السما.
ج) قام الامام علي (ع) بخدمات جمة للرسالة وتضحيات مدهشة , كمنامه في فراش النبي (ص) ليلة الهجرة فلو لم يكن الامام علي (ع) مشاركا في احدى الغزوات (بدر واحد والخندق وخيبر), لما حقق الاسلام ولا المسلمون انتصارا في احداها وكان القتل والفشل حليفهم .
د) موضوع غدير خم , والذي اعلن فيه النبي الاكرم (ص) الولاية العامة لعلي (ع) فجعله على المسلمين ما كان له عليهم .
من الطبيعي , ان هذه الخصائص والفضائل التي انفرد بها الامام علي (ع), والتي هي مورد اتفاق الجميع , والعلاقة الخاصة , التي كان يبديها النبي الاكرم (ص) جعلت له مؤيدين محبين مخلصين , من صحابة النبي وانصاره , كما اثارت لدى بعضهم الاخرالحقد والحسد.
وفضلا عن هذا كله , فان كلمة ((شيعة علي)) و ((شيعة اهل البيت)) قد جات في كثير من اقوال النبي (ص).

٢.سبب انفصال الاقلية الشيعية عن اكثرية السنة , وظهور الاختلافات

كان شيعة علي (ع) واصحابه يعتقدون اعتقادا راسخا ان الخلافة ستكون لعلي (ع) بعد وفاة النبي (ص) وذلك لما كان يتسم به (ع) من مقام ومنزلة لدى الرسول (ص) والصحابة والمسلمين , وظواهر الامور والحوادث تؤيد ذلك : عدا ما حدث في ايام مرضه (ص).
ولكن ما حدث هو غير ما كان يتوقعونه , ففي الوقت الذي التحق النبي (ص)بالرفيق الاعلى , ولم يغسل جسده الطاهر, ولم يدفن بعد, وحينما كان اهل البيت وعددمن الصحابة منصرفين في العزا, واجرا المقدمات اللازمة , اذ وصلهم نبا انصراف جماعة قليلة لتعيين الخليفة بعد الرسول (ص), وهذه القلة التي غلبت الكثرة , قد بادرت بهذا الامر عجالة , دون ان يستشيروا اهل البيت , واقربا النبي (ص) وعشيرته وصحابته الا ان يروا انفسهم قبال امر واقع , وبعد ان فرغ الامام علي (ع), ومن معه من الصحابة (كابن عباس والزبير وسلمان وابي ذر والمقداد وعمار) من دفن النبي (ص) اعلموا بالذي حدث , رفعوا علم المعارضة , فانتقدوا القائمين بهذا الامر, وابدوا اعتراضهم للخلافة الانتخابية , باقامتهم جلسات متعددة , والجواب الذي سمعوه هو ان صلاح المسلمين كان في الذي حدث .
فالانتقاد هذا والاعتراف اديا الى انفصال الاقلية عن الاكثرية , واشتهر اصحاب الامام علي (ع) باسم ((شيعة علي)) فالقائمون بامور الخلافة , كانوا يسعون وفقا للسياسة آنذاك , الا يشتهر هؤلا الاقلية بهذا الاسم , والا ينقسم المجتمع الى اقلية واكثرية ,فكانوا يعتبرون الخلافة اجماعا, ويطلق على المعارض لها, متخلفا عن البيعة , ومتخلفاعن جماعة المسلمين , واحيانا كان يوصف بصفات بذيئة اخرى .
وفي الحقيقة ان الشيعة قد حكم عليها بالتخلف منذ الايام الاولى , ولم تستطع ان تكسب شيئا منذ ان ابدت معارضتها, والامام علي (ع) لم يعلنها ثورة وحربا, رعاية لمصلحة الاسلام والمسلمين , ولفقدانه للاشياع بالقدر المطلوب , الا ان هؤلاالمعارضين لم يستسلموا للاكثرية من حيث العقيدة , وكانوا يرون ان الخلافة والمرجعية العلمية هي حق مطلق للامام علي (ع), فكان رجوعهم في القضايا العلمية والمعنوية اليه وحده , وكانوا يدعون الى هذا الامر.

٣.موضوعا الخلافة والمرجعية العلمية

كان الشيعة يعتقدون ان ما يهم المجتمع اولا وقبل كل شي هو وضوح وتبيان التعاليم الاسلامية ومن ثم نشرها في المجتمع , وبعبارة اخرى هي نظرة المجتمع الى العالم والانسان نظرة واقعية , والوقوف على الواجبات والوظائف الانسانية (بالشكل الذى يكون فيه الصلاح الواقعي) والقيام بها, وان كانت مخالفة لاهوائهم وميولهم .
هذا من جهة ومن جهة اخرى , فان قيام حكومة دينية ما هو الا لتنفيذ الاحكام الاسلامية في المجتمع , والحفاظ عليه , بحيث لا يعبد الناس الا الله جل وعلا, وان يحظوا بحرية تامة وعدالة فردية واجتماعية ,

وهاتان المهمتان يجب ان تناط الى شخص يتسم بالعصمة والصيانة الالهية , اذ من المحتمل ان يتعهد هذه المسؤولية اناس لم يسلموا من الانحراف الفكري والعقائدي , ولم ينزهوا من الخيانة وتتحول العدالة التي تمنح الحرية الاسلامية الى ملوكية موروثة مستبدة , كملوكية كسرى وقيصر, وتتعرض التعاليم الاسلامية المنزهة الى تحريف , كتعاليم الاديان السماوية الاخرى , ولا تكون بمامن من العلما الذين قد ركبوا اهواهم فالشخص الوحيد الذي قد نهج نهج الرسول (ص) في اعماله وافعاله , وكان سديدا في سيرته , متبعا لكتاب الله تعالى وسنة نبيه (ص) اتباعا كاملا هو الامام علي (ع).
واذا كانت الاكثرية تدعي ان قريشا تعارض حكومة علي (ع) الحقة وخلافته ,كان لزاما عليهم ان يوجهوا المخالفين التوجيه الحسن , وان يرشدوهم الى طريق الحق والصواب , كما صنعوا مع ممتنعي الزكاة , فحاربوهم , ولم يتوانوا عن اخذ الزكاة منهم , لا ان يدحضوا الحق خوفا من مخالفة قريش .
نعم , ان الدافع الذي دفع الشيعة للمعارضة امام الخلافة الانتخابية , هو الخوف من عواقبه الوخيمة الا وهو فساد وسقم الطريقة التي ستتخذها الحكومة الاسلامية , ومايلازمها من انهدام الاسس العالية للدين وقد اوضحت الحوادث المتتالية صحة هذه العقيدة بمرور الزمان والايام , اكثر فاكثر, مما ادى بالشيعة الى ان تكون ثابتة في عقيدتها, مؤمنة باهدافها علما بانها قد كانت اقلية الا ان هذه الاقلية قد ذابت في الاكثرية ظاهرا, ولكنها بقيت تستلهم التعاليم الاسلامية من اهل البيت باطنا, وكانت متفانية في نهجها وطريقها وفي الوقت ذاته كانت تسعى في التقدم والرقي , والحفاظ على قدرة الاسلام وعظمته , فلم تبد مخالفتها علنا وجهارا وكانت الشيعة تذهب الى الجهاد سيرامع الاكثرية , ولم تتدخل في الامور العامة , والامام علي (ع) كان يرشد الاكثرية لما فيه نفع الاسلام , ومصلحة المسلمين .

٤.الطريقة السياسية للخلافة الانتخابية , ومخالفتها للفكر الشيعي

كان الشيعة يعتقدون ان شريعة الاسلام السماوية التي قد تعينت مضامينها في كتاب الله وسنة نبيه (ص) ستبقى خالدة الى يوم القيامة دون ان يصيبها تغيير او تحريف .
والحكومة الاسلامية لا يحق لها باي عذر ان تتهاون في اجرا الاحكام اجراكاملا فواجب الحكومة الاسلامية هو ان تتخذ الشورى في نطاق الشريعة ووفقاللمصلحة آنذاك , ما يجب اتخاذه من قرارات , ولكن ما حدث من واقعة البيعة السياسية ,وكذا حادث الدواة والقرطاس , والذي حدث في اخريات ايام مرض النبي الاكرم (ص)لدليل واضح على ان المدافعين عن الخلافة الانتخابية كانوا يعتقدون ان كتاب الله وحده يجب ان يحفظ ويحتفظ به كقانون , اما السنة واقوال النبي الكريم (ص) فليس لهاذلك الاعتبار, وهم على اعتقاد ان الحكومة الاسلامية تستطيع ان تضع السنة جانبا اذااقتضت المصلحة ذلك .
وهذه العقيدة يؤيدها الكثير من الروايات التي نقلت في خصوص الصحابة بعدئذ (الصحابة ذو اجتهاد, فاذا ما اصابوا في اجتهادهم فانهم ماجورون واذا ما اخطاوافهم معذورون), وخير دليل على ذلك ما حدث لخالد بن الوليد, وهو احد القوادللخليفة , اذ دخل ضيفا على احد مشاهير المسلمين (مالك بن نويرة) ليلا وتربص له فقتله , ووضع راسه في التنور واحرقه , وفي الليلة ذاتها واقع زوجة مالك وبعد هذه الجناية التي تعرق لها الجباه , لم يجر الخليفة الحد عليه , متذرعا بعذر: الا وهو ان حكومته بحاجة اليه .
وكذا الامتناع من اعطا الخمس لاهل البيت واقربا النبي الاكرم (ص) ومنع كتابة احاديث النبي الكريم منعا باتا, واذا ما عثر على حديث مكتوب عند شخص كان يحرق وكانت هذه السنة قائمة طوال خلافة الخلفا الراشدين , وحتى زمن خلافة (عمربن عبدالعزيز) الخليفة الاموي (٩٩-١٠٢) وقد تجلت هذه السياسة في خلافة الخليفة الثاني (١٣-٢٥) للهجرة .
اذ الغى بعض احكام الشريعة مثل : حج التمتع ونكاح المتعة , وذكر (حي على خير العمل) في الاذان , وجعل الطلاق الثالث نافذ الحكم وغيرها, وفي زمن خلافته كان بيت المال يوزع بين الناس مع تباين والذي ادى الى ظهور طبقات مختلفة من المسلمين , تثير الدهشة والقلق , وكان من نتائجها وقوع حوادث دامية مفزعة , وفي زمنه كان معاوية في الشام يتمتع بسلطان لا يختلف عن سلطنة كسرى وقيصر, وقد اسماه الخليفة بكسرى العرب , ولم يتعرض له بقول , ولم يردعه عن اعماله .
وبعد ان قتل الخليفة الثاني على يد غلام فارسي , ووفقا لاكثرية آرا الشورى البالغ عددهم ستة اعضا والذي تم تشكيله بامر من الخليفة , عين الخليفة الثالث , فعين اقرباه الامويين ولاة وامرا, فجعل منهم الولاة في كل من الحجاز والعراق ومصروسائر البلدان الاسلامية , فكانوا جائرين في حكمهم , عرفوا بشقاوتهم وظلمهم وفسقهم وفجورهم , نقضوا القوانين الاسلامية الجارية , فالشكاوى كانت تنهال على دار الخلافة ,ولكن الخليفة الثالث كان متاثرا لما تربطهم به من صلة القربى , وخاصة مروان بن الحكم ولم يهتم بشكاوى الناس , وكان احيانا يعاقب الشكاة فثار الناس عليه سنة ٣٥ للهجرة ,وبعد محاصرة منزله , وصراع شديد قتلوه .

كان الخليفة يؤيد واليه على الشام تاييدا مطلقا وهو احد اقاربه الامويين (معاوية) وكان يدعم موقفه بتاييده المستمر له وفي الحقيقة كان ثقل الخلافة في الشام ,ولم يكن مركز الخلافة (المدينة) الا شكل ظاهر.
فخلافة الخليفة الاول قد استقرت بانتخاب اكثرية الصحابة والخليفة الثاني عى ن من قبل الخليفة الاول , والخليفة الثالث انتخب من الاعضا الستة للشورى الذين عينهم الخليفة الثانى .
فاكنت سياسة هؤلا الخلفا الثلاثة في الامور وشؤون الناس ان ينفذوا القوانين الاسلامية في المجتمع وفقا للاجتهاد والمصلحة آنذاك , ووفقا لما يرتايه مقام الخلافة ,فالقرآن يقرا دون تفسير او تدبر واقوال الرسول العظيم (الحديث) تروى دون ان تكتب على قرطاس , ولا تتجاوز حد الاذن واللسان فكانت الكتابة مختصة بالقرآن الكريم ,والحديث لا يكتب على الاطلاق .
وبعد معركة اليمامة والتى انتهت في سنة ١٢ للهجرة بمقتل جمع من الصحابة كانوا من حفظة القرآن , يقترح عمر بن الخطاب على الخليفة الاول ان يجمع القرآن في مصحف , ويبين الهدف والغرض في اقتراحه بقوله : اذا ما حدثت معركة اخرى , واشترك فيها بقية حملة القرآن وحفظته , فسوف يذهب القرآن من بين اظهرنا, اذن يستلزم جمع آيات القرآن في مصحف , تكتب آياته , فنفذوا هذا الاقتراح بالنسبة للقرآن الكريم .
ومع ان الاحاديث النبوية هي التالية للقرآن , وكانت تواجه نفس الخطر, ولم تكن بمامن من خطر نقل الحديث معنى , دون الالتفات الى النص , وكذا الزيادة والنقصان , والتحريف والنسيان , وما الى ذلك من الاخطار التي كان يواجهه الحديث ,فلم توجه عناية او رعاية لحفظه وصيانته , بل كانت كتابة الحديث ممنوعا, واذا ماحصلوا على شي منه فكان يلقى في النار.
ولم تمض فترة من الزمن حتى ظهر التضاد في المسائل الاسلامية الضرورية كالصلاة , ولم يطرا تقدم في بقية الفروع العلمية في هذه الفترة , في حين نرى القرآن الكريم يشجع المشتغلين بالعلم , واحاديث النبي الكريم تؤيد ذلك , فلم ير لتلك الايات والاحاديث مصداقا فى الخارج , وانصرف اكثر الناس بالفتوحات المتعاقبة , واعجبوابالغنائم المتزايدة , والتي كانت تتدفق الى الجزيرة العربية من كل صوب وحدب , ولم يكن هناك اهتمام بعلوم سلالة الرسالة ومعدن الوحي , وفي مقدمتهم علي عليه السلام والنبي (ص) قد صرح معلنا ان عليا اعرف الناس بالعلوم الاسلامية , والمفاهيم القرآنية , ولم يسمحوا له بالمشاركة في جمع القرآن (وهم على علم من ان عليا بعد وفاة النبي (ص) كان جليس داره يجمع القرآن) ولم يذكر اسمه في انديتهم واجتماعاتهم .
فان هذه الامور ونظائرها, ادت بشيعة علي الى ان يقفوا موقفا اكثر وعيا وارسخ عقيدة , واشد نشاطا, ولما كان علي (ع) بعيدا عن ذلك المقام الذي يجعله مشرفا على التربية العامة للناس , انصرف الى تربية الخاصة من شيعته وانصاره .

٥.انتها الخلافة الى اميرالمؤمنين (ع) وسيرته

بدات خلافة علي (ع) في اواخر سنة خمس وثلاثين للهجرة , واستمرت حوالي اربع سنوات وتسعة اشهر, وكان في سيرته مماثلا لسيرة النبي الاكرم (ص), اعادمعظم المسائل التي وجدت في زمن الخلفا السابقين الى حالتها الاولى , وعزل الولاة غير الكفوئين وفي الحقيقة , احدث انتفاضة ثورية , كانت تنطوي على مشاكل متعددة .
والامام علي (ع) في الايام الاولى من خلافته وقف مخاطبا الناس قائلا:((الاوان بلى تكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة , ولتغربلن غربلة ولتسلطن سوط القدر, حتى يعود اسفلكم اعلاكم ,وليسبقن سابقون كانوا قصروا, وليقصرون سباقون كانوا سبقوا)).
استمر الامام علي (ع) في حكومته الثورية , فرفعت اعلام المعارضة من قبل المخالفين , كما هي طبيعة الحال لكل ثورة , اذ لابد من مناوئين , يرون مصالحهم في خطر, فاشعلوا حربا داخلية دامية , بحجة الاخذ بثار دم عثمان والتي استمرت طوال خلافة الامام علي (ع) تقريبا ويعتقد الشيعة ان المسببين لهذه الحروب لم يريدوا سوى منافعهم الخاصة , ولم يكن الثار بدم عثمان الا ذريعة يتمسكون بها, ليحرضوا عوام الناس للمعارضة والنهوض امام امام الامة وخليفتها, اذ ان هذه المعارضة لم تحدث عن سؤتفاهم .
وما الاسباب والدوافع التي خلقت معركة الجمل الا غائلة الاختلاف الطبقي ,والتي وجدت في زمن الخليفة الثاني اثر توزيع الاموال من بيت المال بطرق متباينة ,وبعد خلافة علي (ع) كانت الاموال توزع بين الناس بالسوية , كما كان يفعله النبي (ص)في حياته , والطريقة هذه اثارت غضب ((الزبير)) و ((طلحة)) فمردا على النفاق , فخرجامن المدينة الى مكة بحجة الحج , فاتفقا مع ام المؤمنين (عائشة) والتي كانت في مكة ,ولم يكن بينها وبين علي صفا ومودة , اتفقوا ان يطالبوا بدم عثمان , فاضرموا نار الحرب .
علما بان ((طلحة)) و ((الزبير)) كانا في المدينة عندما حوصرت دار الخليفة الثالث , فلم يدافعا عنه , ولم ينصراه , وبعد مقتله , كانا من الاوائل الذين بايعوا عليا اصالة عن انفسهم ونيابة عن المهاجرين .

واما ام المؤمنين ((عائشة)) فقد كانت ممن حرضوا الناس لقتل الخليفة الثالث ,وعندما سمعت نبا مقتله لاول مرة , قلت : بعدا وسحقا, وفي الحقيقة ان المسببين الاصليين لمقتل الخليفة كانوا من الصحابة , اذ ارسلوا الرسائل الى البلدان لغرض اثارة الناس على الخليفة .
واما السبب الذي احدث حرب صفين , والتي استمرت سنة ونصف السنة , فهوطمع معاوية في الخلافة , فاججّ نارها متذرعا بدم عثمان , فاريقت الدما, وقتل مايقارب من مائة الف , وكان موقف معاوية من هذه الحرب موقف المهاجم , وليس موقف المدافع , الا ان الثار يكون دفاعا.
وكان شعار هذه الحرب , المطالبة بدم عثمان , علما بان الخليفة الثالث قد طلب المساعدة والعون من معاوية لرد الهجوم , وتحرك جيش معاوية من الشام متجها الى المدينة , ولكنه تباطا في سيره حتى قتل عثمان , وعندئذ رجع الى الشام يطالب بدم عثمان .
وبعد ان استشهد الامام علي (ع), تناسى معاوية قتلة الخليفة , ولم يعاقبهم وبعدحرب ((صفين)) اندلعت نار حرب ((النهروان)) فثار جمع من الناس وفيهم بعض الصحابة بايعاز من معاوية ممن كان في حرب صفين , فثاروا على علي (ع), فرحلوا الى البلدان الاسلامية , فقتلوا كل من كان يدافع عن علي (ع), وفتكوا بالنسا الحوامل , ومثلوابهن وباجن تهن .
والامام علي (ع) قد اخمد هذه الغائلة , ولكن بعد فترة استشهد في مسجدالكوفة اثنا الصلاة على يد الخوارج .

٦.ما حصل عليه الشيعة طوال خلافة الامام علي (ع) في خمس سنوات

الامام علي (ع) طوال خلافته لاربع سنوات وتسعة اشهر, وان لم يوفق في اعادة الاوضاع المضطربة الى حالتها الطبيعية , الا انه قد وفق من ثلاث جهات اسياسية :
١) استطاع ان يظهر شخصية النبي الكريم (ص) المضيئة بسيرته العادلة للناس ,وخاصة الشباب , فقد كان يواسي افقر الناس في عيشه , امام تلك الابهة التي كان يتصف بها معاوية , اذ كان لايقل عن كسرى وقيصر, فالامام علي (ع) لم يقدم احدا من اصدقائه واقربائه وعشيرته على الاخرين , ولم يرجح الغني على الفقير, ولا القوي على الضعيف .
٢) مع كثرة المشاكل المنهكة للقوى , فقد استطاع ان يضع في متناول ايدي المسلمين الذخائر القيمة من المعارف الالهية والعلوم الاسلامية الحقة .
واما ما يقوله المخالفون لعلي (ع): انه كان رجلا شجاعا, ليس له علم بالسياسة ,اذ كان يستطيع في بداية خلافته ان يرضي مخالفيه موقتا عن طريق المداهنة , وبعد ان يستتب له الامر كان باستطاعته ان يحاربهم ويقضي عليهم .
ولكن هؤلا قد غفلوا عن ملاحظة مهمة وهي ان خلافة علي كانت نهضة ثورية ,وجدير بالنهضات الثورية , ان تكون بعيدة كل البعد عن المداهنة والريا, وقد حدث مثيله في زمن النبي (ص) في اوائل بعثته , فطلب الكفار والمشركون منه الصلح عدة مرات وطلبوا منه الا يتعرض لالهتهم , وهم ملزمون بعدم التعرض لدعوته ايضا, ولكن النبي (ص) رفض هذا الاقتراح , في حين انه كان يستطيع ان يقيم معهم الصلح , ويحكم موقفه ثم ينهض بوجه اعدائه وفي الحقيقة ان الدعوة الاسلامية لن تسمح باضاعة حق لاقامة حق آخر, او ان تزيل باطلا بباطل آخر وفي القرآن آيات كثيرة في هذاالخصوص .
علما بان اعدا علي (ع) ومخالفيه , لم يرتدعوا عن القيام باي جرم وجناية ونقض للقوانين الاسلامية الصريحة (دون استثنا) بغية الوصول الى اهدافهم , فكانوايبررون مواقفهم واعمالهم بانهم من صحابة النبي (ص) ومن مجتهدي الامة , ولكن الامام علي (ع) كان ملتزما بالاحكام الاسلامية .
ويروى عن علي (ع) ما يقارب من احدى عشر الف كلمة قصيرة في المسائل العقلية والاجتماعية والدينية وخطبه وكلماته البليغة مليئة بالمعارف الاسلامية , وهوالذي اسس قواعد اللغة العربية , ووضع الاسس والمقومات للادب العربي , وهو اول من تبحر في الفلسفة الالهية , وتكلم وفقا لطريقة الاستدلال الحر والبرهان المنطقي ,وتعرض لمسائل فلسفية لم يتعرض لها فلاسفة العالم حتى ذلك الوقت , فاهتم بهذاالشان اهتماما بالغا, وحتى في احرج ساعات الحرب .
٣) هذب وربى العديد من رجال الدين وعلما الاسلام وكان من بينهم جمع من الزهاد واهل المعرفة مثل :((اويس القرني)) و ((كميل بن زياد)) و ((ميثم التمار)) و ((رشيدالهجري)) ويعتبر هؤلا من المنابع الاصيلة للعرفان من بين االعرفانيين الاسلاميين ,ويعتبر بعض منهم المصادر الرئيسية والاولية لعلم الفقه والكلام والتفسير وقراة القرآن وغيرها.

٧.انتقال الخلافة الى معاوية وتحولها الى ملوكية موروثة

بعد استشهاد اميرالمؤمنين علي عليه السلام , تصدى لمنصب الامامة الحسن بن علي (ع) وذلك وفقا لوصية الامام علي (ع) ومبايعة الناس له , ويعتبر الامام الثاني للشيعة الاثنى عشرية , ولكن معاوية لم يستقر ويهدا لهذا الامر, فجهز جيشه واتجه به الى العراق مقر الخلافة , معلنا الحرب على الحسن بن علي (ع).
افسد معاوية راي اصحاب الحسن (ع) بمختلف الطرق والدسائس , ومنح الاموال الطائلة لهم واجبر الامام الحسن (ع) على الصلح معه , وان تصير الخلافة اليه ,على شرط ان تكون للحسن (ع) بعد وفاة معاوية , والا يتعرض الى شيعته , فصارت الخلافة لمعاوية وفقا لشروط.
استولى معاوية على الخلافة (سنة ٤٠ للهجرة), فاتجه الى العراق , فخطب فيهم قائلا:((يا اهل الكوفة اترونني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج ولكني قاتلتكم لاتامر عليكم وقد آتاني الله ذلك , وانتم كارهون)).
وقال ايضا:((الا ان كل دم اصيب في هذه مطلول , وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين)).
ومعاوية بكلماته هذه يشير الى انه يريد ان يفصل السياسة عن الدين , فهو لايريد الزام احد باحكام الدين , وانما كان اهتمامه بالحكومة فحسب , واستحكام مقوماتها, وبديهي ان مثل هذه الحكومة ملوكية وليست خلافة واستخلافا لمنصب الرسول الكريم (ص) وقد حضر بعض الناس مجلسه , فسلموا عليه بسلام الملوك وكان يعبر في بعض مجالسه الخاصة , عن حكومته بالملوكية علما بانه كان يعرف نفسه خليفة في خطبه و الملوكية التي تقام على القوة تتبعها الوراثة وفي النتيجة كان الامر كما ارادونوى فاستخلف ابنه يزيد وجعله خليفة له من بعده وكان شابا لا يتصف بشخصية دينية اذ قام باعمال وجرائم يندى لها الجبين .
فمعاوية مع بيانه السالف , كان يعني انه لم يرغب في ان يصل الحسن (ع) الى الخلافة بعده اي انه كان يفكر في موضوع الخلافة بشي آخر وهودس السم الى الحسن (ع) فهو بهذا الامر قد مهد السبيل الى ابنه يزيد ومع الغائه معاهدة الصلح كان يهدف الى اضطهاد الشيعة , ولن يسمح لهم بالحياة المطمئنة او ان يستمروا كما في السابق في نشاطهم الديني ووفق في هذا المضمار ايضا.
وصرح معاوية في خصوص مناقب اهل البيت , بان كل ناقل لحديث في هذاالشان لم يكن بمامن في حياته وماله وعرضه , وامر ان تعطى الهدايا والجوائز لكل من ياتي بحديث في مناقب سائر الصحابة والخلفا, وكانت النتيجة ان توضع اخبار كثيرة في مناقب الصحابة , وامر ان يسب الامام علي (ع) في جميع الاقطار الاسلامية على المنابر (وهذا الامر كان ساريا حتى زمن عمر بن عبدالعزيز الخليفة الاموي سنة٩٩ -١١٠ه).
فقتل جماعة من خاصة شيعة علي (ع) بمساعدة عماله , وكان بعضهم من الصحابة , ورفعت رؤوسهم على الرماح , تنقل من بلد لاخر, وكلف عامة الشيعة بسب علي (ع), والتبر ي منه , فكان القتل حليف من خالف وابى .

٨.الايام العصيبة التي مرت بالشيعة

من اشد الايام التي مرت بها الشيعة قساوة , هو زمن حكومة معاوية بن ابي سفيان , والتي استمرت زها عشرين عاما, لم تكن الشيعة بمامن , وكان اغلب رجال الشيعة يشار اليهم بالبنان ـ ولم تكن لدى الحسن والحسين عليهما السلام , اللذين عاصرا معاوية , ادنى الوسائل تمكنهم من القيام والقضا على الاوضاع المؤلمة والامام الحسين (ع) عندما نهض في الاشهر الاولى من حكومة يزيد, استشهد ومن كان معه من اولاد واصحاب , علما بانه لم يجرا على القيام طوال السنوات العشر التي عاشها في زمن معاوية .
فبعض اخواننا اهل السنة يذهبون الى التوجيه والتاويل في سفك الدما هذه ,وما شابهها من اعمال اجرامية , كان يقوم بها بعض الصحابة , وخاصة معاوية , مبررين اعمالهم ومواقفهم هذه , بانهم من صحابة الرسول (ص) ووفقا للاحاديث المروية عنه (ص), ان الصحابة مجتهدون معذورون , وان الله جل وعلا راض عنهم , لكن الشيعة ترفض هذا بادلة :
اولا: يستحيل على قائد كالنبي (ص) الذي نهض لا حيا الحق والحرية والعدالة الاجتماعية , واتبعه جمع من الناس , فضحوا بما لديهم في سبيل تحقق هذاالهدف المنشود, وعند تحققه , يترك العنان لهم , ويمنحهم الحرية المطلقة , امام الاحكام المقدسة , كي يقوموا باي عمل شاؤوا, وهذا يعني ان ينهار البنا الشامخ بتلك الايدي التي ساهمت في اقامته وتشييده .

ثانيا: ان الروايات التي تقدس الصحابة وتنزههم , وتصحح اعمالهم غيرالمشروعة وتوجهها, وتعتبرهم من الذين قد كفر الله عنهم سيئاتهم , وانهم مصونون ومالى ذلك , هذه الروايات قد وضعت من قبل هؤلا الصحابة انفسهم , والتاريخ يشهد ان الصحابة , لم يكن احدهم ليحترم الاخر, ولم يغض النظر عن اعماله القبيحة , وانما كان يشهر به ويعرفه للملا فقد قام بعضهم بالقتل الجماعي واللعن والسب وفضح الاخرين ,ولم تكن هناك اية مسامحة او غضاضة فيما بينهم .
ووفقا لما ذكرنا فان الصحابة يشهدون ان هذه الروايات غير صحيحة , واذا ماتحققت صحتها فان المراد منها معنى آخر, غير التنزيه والتقديس القانوني للصحابة .
ولو قدر ان الله سبحانه وتعالى قد مدحهم ورفع شانهم في بعض آياته , فان هذايدل على ما قدموه من خدمات في سابق حياتهم , وتنفيذا لاوامر الله تعالى , فطبيعي ان يتحقق رضى الله تعالى , ولم يكن المراد من انهم يستطيعون ان يقوموا بكل ما تراودهم نفوسهم في المستقبل , وان كان خلافا لاحكام الله تعالى .

٩.استقرار ملوكية بني امية

توفي معاوية (سنة ٦٠ للهجرة), واستولى على عرش الخلافة ابنه يزيد وفقاللبيعة التي اخذها ابوه من الناس , واصبح زعيما لحكومة اسلامية .
والتاريخ يشهد بان يزيد لم يكن ليتصف باية شخصية اسلامية , فقد كان شابا لايبالي باحكام الاسلام حتى في زمن ابيه , كان فاسقا فاجرا, لا يتناهى عن شرب الخمر,متبعا لاهوائه وشهواته , قام باعمال اجرامية طوال السنوات الثلاثة التي حكم فيها, لم يسبق لها مثيل منذ ظهور الاسلام , مع ما انطوت عليه من احداث وفتن .
ففي السنة الاولى , قتل الحسين بن علي (ع) سبط النبي المرسل (ص), ومن كان معه من اولاده واقربائه واصحابه , قتلة مفجعة , وطاف بالنسا والاطفال لاهل بيت العصمة والطهارة مع رؤوس الشهدا في البلدان .
وفي السنة الثانية , امر جيشه بالابادة الجماعية للناس في مدينة الرسول (ص),واباح دماهم واموالهم واعراضهم لثلاثة ايام .
وفي السنة الثالثة , امر بهدم الكعبة المقدسة واحرقها, وبعد وفاة يزيد, تسلطعلى رقاب الناس , آل مروان من بني امية , هذا ما تتناقله كتب التاريخ , وكانت لحكومة هذه الزمرة والتي شملت احد عشر شخصا, واستمرت مدة سبعين عاما, ايام عصيبة على الاسلام والمسلمين , فلم تكن سوى امبراطورية عربية مستبدة في مجتمع اسلامي ,وكانت تدعى بالخلافة الاسلامية , حتى آل الامر بالخليفة آنذاك خليفة الرسول (ص),ويعتبر المدافع الوحيد عن الدين , ان يقرر بنا غرفة على الكعبة , كي يتسنى له الجلوس فيها للنزهة وفي ايام الحج خاصة .
والخليفة آنذاك قد رمى القرآن بالسهام , وقال في شعر له مخاطبا القرآن : في اليوم الذي تحضر فيه امام الرب , انبئه ان الخليفة مزقك تمزيقا.
من الطبيعي ان الشيعة كانوا يختلفون اختلافا اساسيا مع اكثرية اهل السنة حول مسالتين , الخلافة الاسلامية , والرجعية الدينية , وكانت تعاني ايام قاسية في المرحلة المظلمة , ولكن الظلم والجور من قبل حكام الوقت , والمظلومية والتقوى والورع الذي كان يتصف به ائمة اهل البيت (ع) كانت تجعلهم اكثر رسوخا في عقائدهم , وخاصة بعداستشهاد الحسين (ع) الامام الثالث للشيعة , مما ساعد في انتشار الفكر الشيعي في المناطق البعيدة عن مركز الخلافة مثل العراق و اليمن و ايران .
و مما يشهد على صحة هذا الادعا, ما حدث في زمن الامام الخامس للشيعة ,والقرن الاول الهجري لم يكتمل بعد, ولم تمض على مقتل الحسين فترة لا تزيد على الاربعين سنة , ولاضطراب الاوضاع وظهور الاختلال في حكومة بني امية , اتجه الشيعة من جميع الاقطار الاسلامية الى الامام الخامس وحرصوا على اخذ الحديث والمعارف الاسلامية منه .
وفي اواخر القرن الاول الهجري , قام جماعة من الامرا, بانشا مدينة قم في ايران , وقد اسكنوا فيها الشيعة , ولكن الشيعة حسب اوامر ائمتهم كانوا يعيشون دون تظاهر بعقيدتهم , التزاما بمبدا التقية , وطالما نهض رجال من السادة العلويين اثر كثرة الضغوط التي كانت تظهر من قبل الحكام الجائرين , ولكن قيامهم هذا كان نتيجة الفشل والقتل , وقدموا في سبيل عقيدتهم ونهضتهم هذه المزيد من التضحيات ولم تبال الحكومة بابادتهم والقضا عليهم .
اخرجوا جثمان ((زيد)) زعيم الشيعة الزيدية من قبره , وصلبوه لمدة ثلاث سنين ,ومن ثم احرقوه , وذروا رماده في الهوا, حتى ان اكثرية الشيعة تعتقد ان مقتل الامام الرابع والخامس قد تم على ايدي بني امية , وذلك بدس السم اليهما, وكذا وفاة الامام الثاني والثالث كان على ايديهم .
ان الفجائع التي ارتكبها الامويون كانت الى حد ما جعلت اكثرية اهل السنة يعتقدون بالخلفا عامة وانهم مفروضو الطاعة , و ان يقسموا الخلفا الى قسمين : الخلفاالراشدين , وهم الخلفا الاربعة الاوائل بعد وفاة

الرسول الكريم (ص) وهم (ابوبكروعمر وعثمان وعلي) والخلفا غير الراشدين اولهم معاوية .
والامويون طوال حكومتهم , وعلى اثر ظلمهم وجورهم , اثاروا سخط الامة وغضبها الى ابعد الحدود, وبعد سقوط دولتهم ومقتل آخر خليفة لهم , فر ولدا الخليفة مع جمع من العائلة الاموية من دارالخلافة ولم يجدوا في اي مكان ملجا يتجهون اليه ,فتاهوا في صحارى ((النوبة)) و ((الحبشة)) و ((بجاوة)) ومات الكثير منهم اثر الظماوالجوع , توجهوا الى جنوب (اليمن) فمكثوا هناك زمنا, كانوا يحصلون على مال من الناس عن طريق الاستجدا والصدقة والعطف عليهم ومن ثم انتقلوا الى مكة مرتدين زى الحمالين وانصهروا في ذلك المجتمع .

١٠.الشيعة فى القرن الثانى للهجرة

ظهرت دعوة باسم اهل بيت النبوة في خراسان , يتزعمها ((ابومسلم المروزي))وذلك في اواخر الثلاث الاول من القرن الثاني للهجرة , اثر النهضات والحروب الدامية التي ظهرت في جميع البلدان الاسلامية , كرد فعل للظلم والجور والمعاملة السيئة التي كان يقوم بها بنوامية , وابومسلم هذا قائد فارسي , قام ضد الحكومة الاموية , زحف بجيشه حتى اطاح بالدولة الاموية .
والنهضة او الثورة هذه وان كانت تستلهم من الدعايات الشيعية , وكانت تتصف ايضا ـ الى حدما ـ بثار شهدا اهل البيت وقامت باخذ البيعة لرجل لم يعرف من اهل البيت , مع هذا كله لم تكن بايعاز من ائمة الشيعة , لا بالشكل المباشر ولا بغيرالمباشروالدليل على ذلك هو ان ابامسلم لما عرض البيعة للخلافة على الامام السادس في المدينة , كان رد الامام عنيفا اذ احرق الكتاب المرسل اليه على السراج , وقال للرسول اخبر صاحبك بما رايت)).
وبالنتيجة قبض ((بنوالعباس)) على الخلافة باسم اهل البيت , وابدوا عنايتهم ورعايتهم للعلويين في بداية امرهم قضوا على الامويين وابادوهم ابادة كاملة , وذلك انتقاما لشهدا العلويين , ونبشوا قبور خلفا بني امية , واخرجوا منها الاجساد,واحرقوها بالنيران , ولم تمض فترة حتى اتخذوا سيرة بني امية نهجا لهم , ولم يتوانوا عن القيام باية اعمال بشعة منافية للشريعة , فظلموا وجاروا على الناس .
سجن ((ابوحنيفة)) وهو احد رؤوسا المذاهب الاربعة , في زمن المنصور, ولاقى انواع التعذيب , وضرب ((ابن حنبل)) احد رؤوسا المذاهب الاربعة , بالسياط وقضي على الامام السادس للشيعة الامامية بالسم , بعد الاذى والتعذيب وكان يقدم العلويون جماعات لضرب اعناقهم , او ان يدفنوا وهم احيا, او ان يوضعوا احيا في الجدران ,واسس الابنية الحكومية .
واما الخليفة العباسي هارون الرشيد, فقد توسعت في زمنه الامبراطورية الاسلامية , وكان ينظر احيانا الى الشمس مخاطبا اياها بقوله : اشرقي في اي مكان شئت فانك لم تشرقي خارج ملكي .
فمن جهة كان جيش الخليفة يحارب ويتقدم في اقصى الشرق والغرب في العالم و من جهة اخرى كان يشاهد على جسر بغداد والذي لا يبعد عن قصره سوى خطوات , الجباة وهم ياخذون من المارة حق العبور دون علم الخليفة واذنه , ويذكران الخليفة نفسه , اراد عبور الجسر ذات يوم , فطولب بحق العبور.
ومما يذكر عن الامين الخليفة العباسي , انه وهب الى مطرب ثلاثة ملايين درهم فضة ازا ما غناه لبيتي غزل , فرمى المطرب نفسه على قدمي الخليفة قائلا: تمنحني هذه الاموال الطائلة يا اميرالمؤمنين ؟ كانت الاموال الطائلة تتدفق الى بيت مال المسلمين من جميع الاقطارالاسلامية , وتصرف للهو الخليفة ولعبه , وكان بلاط الخلفا يعض بلاف الجواري والفتيات والغلمان .
لم يتغير وضع الشيعة بعد انقراض حكومة بني امية , ومجي دولة بني العباس ,سوى تغيير الاسما والشعارات للاعدا الظلمة والجائرين .

١١.الشيعة في القرن الثالث للهجرة

استطاع الشيعة ان يتنفسوا الصعدا, في اوائل القرن الثالث الهجري , والسبب في ذلك يعود الى :
اولا: ترجمة الكثير من الكتب الفلسفية والعلمية من اليونانية والسريانية وغيرهما الى العربية , فتسابق الناس على تحصيل العلوم العقلية والاستدلالية , علمابان الخليفة العباسي المعتزلي المامون (١٩٥-٢١٨) كان يرغب في الاستدلال العقلي في المذاهب , ويبدي اهتمامه له , وكانت النتيجة ان ينتشر البحث الاستدلالي في الاديان , وتعطى الحرية الكاملة لاصحاب المذاهب , فانتهز علما الشيعة ومتكلموهم هذه الحرية الفكرية , فلم يتوانوا في القيام بالنشاط العلمي , ونشر مذهب اهل البيت عليهم السلام .
ثانيا: منح المامون الامام الثامن ولاية عهده بمقتضى سياسته , فاصبح الشيعة ومحبو اهل البيت , بعيدين عن

التعرض الى حد ما ـ من قبل الولاة ـ واصحاب المناصب , واصبحوا يتمتعون بشي من الحرية , الا ان الفترة هذه لم تدم كثيرا, وتعرض الشيعة للملاحقة الشديدة , والقتل والتشريد, وعادت السنة التي كانت سائدة , وخاصة في زمن المتوكل العباسي (٢٣٢-٢٤٧) للهجرة , اذ كان يعادي عليا وشيعته عداخاصا, وهو الذي امر بهدم مرقد الامام الحسين (ع) ثالث ائمة الشيعة في كربلا.

١٢.الشيعة في القرن الرابع للهجرة

ظهرت عوامل في القرن الرابع الهجري , ساعدت على انتشار مذهب التشيع وتقويته , منها ضعف الخلافة العباسية , وظهور وزرا آل بويه .
كان لوزرا آل بويه , وهم شيعة , التاثير البالغ في مركز الخلافة ببغداد, وكذا في الخليفة , وهذه القدرة مكنت الشيعة من الوقوف امام المخالفين , الذين طالما حاربوهم لما كان لهم من قدرة خلال خلافتهم , وتمكن الشيعة من نشر عقائدهم بكل حرية .
والمؤرخون متفقون على ان الجزيرة العربية , او معظمها كانت تعتنق مذهب الشيعة , سوى المدن الكبيرة منها, علما بان بعض المدن مثل , هجر وعمان وصعدة ,كانت شيعية , ومدينة البصرة كانت تعتبر مركزا لاهل السنة , وكانت في صراع ديني مع الكوفة مركز التشيع وكان يسكن فيها بعض الشيعة , وكذا في كل من مدينة طرابلس ونابلس وطبرية وحلب وهرات , كان فيها من الشيعة , وكذلك في مدينة الاهوازوسواحل الخليج الفارسي من ايران .
وفي اوائل هذا القرن , استولى ناصر الاطروش على شمال ايران بعد كفاح دام سنوات , فاستقر في ناحية طبرستان واسس دولته , واستمرت لاولاده من بعده , وكان الحسن بن زيد العلوي قد حكم هذه المنطقة قبل الاطروش .
وفي هذا القرن استولى الفاطميون وهم من الفرقة الاسماعيلية على مصر,واسسوا حكومتهم واستمرت اكثر من قرنين (٢٩٦-٥٢٧).
وكان يظهر صراع بين الشيعة والسنة احيانا في مدن كبيرة كبغداد والبصرة ونيسابور, وكانت الغلبة في بعضها للشيعة .

١٣.الشيعة في القرن الخامس وحتى القرن التاسع الهجري

توسعت الشيعة خلال القرن الخامس حتى اواخر القرن التاسع بتلك النسبة التي كانت عليها في القرن الرابع وظهر ملوك اعتنقوا مذهب التشيع , فصاروا يدعون اليه .
رسخت الدعوة الاسماعيلية في ((قلاع الموت)) واستقرت في دعوتها قرناونصف قرن وسط ايران , وحكم السادة المرعشيون سنين متمادية في مازندران .
اختار الملك ((خدابنده)) وهو احد ملوك المغول مذهب الشيعة , وخلفه في الحكم ملوك من هذه الطائفة لاعوام متعاقبة , وساهموا في نشر وترويج هذه العقيدة ,وكذا سلاطين ((آق قوينلو)) و ((قره قوينلو)), اذ كانت مدينة تبريز مركز حكومتهم ,وكانت تنبسط سيطرتهم حتى فارس وكرمان , وحكمت الدولة الفاطمية في مصرلسنوات متعاقبة .
من الطبيعي ان العلاقة الدينية لاهل السنة بالملوك كانت متغيرة متفاوتة , و بعدسقوط الدولة الفاطمية و مجي دولة الايوبيين , تغيرت الظروف , و فقد الشيعة في مصروالشام الحرية الفكرية على الاطلاق , وقتل الكثير منهم .
منهم الشهيد الاول ((محمد بن محمد الملكي)) احد نوابغ الفقه الشيعي سنة ٧٨٦للهجرة في دمشق بتهمة التشيع .
وقتل ايضا الشيخ ((شهاب الدين السهروردي)) في حلب بتهمة الفلسفة .
فالشيعة خلال هذه القرون الخمسة , كانوا في ازدياد من حيث النفوس والعدد,وكانت الزيادة تابعة لموافقة ومخالفة السلاطين من حيث النفوذ والحرية الفكرية ولم يعلن في هذه الفترة في اية دولة اسلامية مذهب التشيع , مذهبا رسميا لها.

١٤.الشيعة في القرن العاشر والحادي عشر للهجرة

نـهـض شـاب في سنة ٩٠٦ للـهجرة , وهو في الثالثة عشرة من عمره , من عائلة ((شيخ صفي الدين الاردبيـلـي)) الـمتوفى سنة ٧٣٥ ه وكان احد مشايخ الطريقة من الشيعة , نـهض مع ثلاثمائة من الـدراويـش الذين كانوا من مريدي آبائه , وذلك لاقامة دولة شيعية مستقلة مقتدرة , فسار من مدينة ((اردبيل)) وشرع بفتح البقاع وازالة نظام ملوك الطوائف في ايران , وبعد حروب دامية مع الملوك المحليين وخاصة مع ملوك ((آل عثمان)) الذين كانوا يحكمون الامبراطورية العثمانية , استطاع ان يـجـعل من ايران دولة موحدة بعد ان كانت ممزقة , يحكم كل بقعة منها فئة خاصة , وجعل المذهب الشيعي ,مذهبا رسميا لها.
وبـعد وفاة الملك ((اسماعيل الصفوي)) اعقبه ملوك آخرون من السلالة ذاتها,حتى منتصف القرن الـثـانـي عـشـر الـهجري , وكل من هؤلا الملوك كان يؤيد المذهب الشيعي , ففي زمن ((شاه عباس الـكـبير)) والذي يعتبر ذروة القدرة لـهذه السلالة , استطاع ان يوسع بقعتهم , فازداد عددهم فبلغت ضـعـف مـا عليه الان في ايران (سنة١٣٨٤ ه)والفرقة الشيعية في القرنين ونصف القرن الاخير تقريبا, بقيت على حالتها فى سائر البقاع الاسلامية مع بقا الازدياد الطبيعي لها.

١٥.الشيعة في القرن الثاني عشر وحتى القرن الرابع عشر للهجرة

ان الـتـقـدم فـي المذهب الشيعي خلال القرون الثلاثة الاخيرة كان بشكله الطبيعي كما في السابق , والوقت الحاضر الذي هو اواخر القرن الرابع عشر الـهجري , يعتبرالتشيع مذهبا رسميا في ايران , ومـعظم شعبي اليمن والعراق من الشيعة , وتتواجد الشيعة في كل الدول الاسلامية في العالم , قلت ام كثرت , وبعد الشيعة في مختلف الاقطار في العالم , بما يربو على المائة مليون .

١.انشعاب بعض الفرق وانقراضها

يـشـتـمـل كـل مذهب على مسائل وامور تعتبر الاسس الاولية لذلك المذهب ,وهناك مسائل ثانوية واخـتـلاف اهل الـمذاهب في كيفية المسائل الاصلية والرئيسية ونوعيتها مع الاحتفاظ بالاصول المشتركة بينها, يسمى انشعابا.
توجد الانشعابات في جميع الاديان , وخاصة في الاديان السماوية , اليهودية والمسيحية والمجوسية والاسـلام , ويـظهر الانشعاب في مذاهبها ايضا والمذهب الشيعي لم يطرا عليه , ولم يظهر فيه اي انـشـعاب في زمن ائمته الثلاثة (الامام علي والحسن والحسين عليهم السلام), ولكن بعد استشهاد الامام الحسين (ع), اعترف اكثرية الشيعة بامامة علي بن الحسين (ع) السجاد, وذهب الاقلية منهم والذين عرفوا بالكيسانية , الى الاعتقاد بامامة محمد بن الحنفية اماما رابعا لهم , وانه المهدي الموعود عندهم ,ويعتقدون انه قد غاب في جبل رضوى , وسيظهر يوما.
وبعد وفاة الامام السجاد (ع) اعتقد اكثرية الشيعة بامامة ابنه محمد الباقر (ع),وذهب الاقلية منهم الى التمسك بمذهب زيد الشهيد وهو الولد الاخر للامام السجاد(ع), واشتهروا بالزيدية .
وبعد وفاة محمد الباقر (ع) آمن شيعته بولده الامام جعفر الصادق (ع) وبعدوفاته , ذهب الاكثرية الـى ان الامام السابع هو ولده الامام موسى الكاظم (ع), واعتقدفريق ان اسماعيل ابن الامام الاكبر هـو الامـام الـسابع , والذي وافاه الاجل في زمن ابيه الصادق , وانفصل هؤلا عن الاكثرية الشيعية , وعـرفـوا بـالاسماعيلية , وذهب بعضهم الى امامة عبدالله الافطح ابنه الاخر, وذهب آخرون الى امامة محمد وتوقف بعض في امامته , واعتبروه آخر الائمة .
وبـعد اسـتـشـهاد الامام موسى الكاظم (ع), ذهب الاكثرية الى امامة ابنه الرضا(ع), اماما ثامنا, وتوقف جماعة في امامة الامام السابع , واشتهروا ب(الواقفية).
ولم يظهر انشعاب بعد الامام الثامن وحتى الامام الثاني عشر, وهو عند الاكثرية المهدي الموعود, واذا ما كانت هناك حوادث او وقائع فانها لم تكن سوى ايام معدودة ولم يحدث انشعاب , وعلى فرض حدوث انشعاب , لم يدم كثيرا, وانتهى الى الانصهار,كما حدث بعد وفاة الامام العاشر, اذ ادعى ولده جـعفر الامامة وتبعه جمع , الا انهم تفرقواوتشتتوا بعد فترة قصيرة , ولم يتابع جعفر دعوته هذه , وهـنـاك اختلاف في الارا بين رجال الشيعة في المسائل العلمية والكلامية والفقهية , الا انه لا يمكن اعتباره انشعابا في المذهب .
انـقـرضـت الـفرق المذكورة التي انشعبت وظهرت امام الاكثرية الشيعية , في زمن قصير, الفرقة ((الـزيـديـة)) و ((الاسـماعيلية)) اللتين استقامتا, ولا يزال معتنقو هذين المذهبين يعيشون في مناطق مختلفة من العالم , كاليمن والهند ولبنان ومناطق اخرى ,فعلى هذا نكتفي بذكر هاتين الطائفتين مع الاكثرية الشيعية وهم الاثنى عشرية .

٢.الزيدية

تعتبر ((الزيدية)) مذهب تابعي زيد الشهيد ابن الامام السجاد (ع).
ثار زيد سنة ١٢١ للهجرة بوجه الخليفة الاموي ((هشام بن عبدالملك)) وبايعه جماعة , وقتل في حرب وقعت في مدينة الكوفة , بينه وبين مؤيدي الخليفة .
يعد زيد لدى اصحابه الامام الخامس من ائمة اهل البيت (ع), واستخلفه بعده ابنه ((يحيى بن زيد)) الذي ثار على الخليفة الاموي ((الوليد بن يزيد)) وجا بعده ((محمدبن عبدالله)) و ((ابراهيم بن عبدالله)) اللذان قاما وثارا على الخليفة العباسي ((المنصورالدوانيقي)) وقتلا, فهؤلا هم من ائمة الزيدية .
ومنذ ذلك الوقت , كانت امور ((الزيدية)) غير منتظمة , حتى ظهور ((ناصرالاطروش)) وهو من نسل اخي زيد, في خراسان , وعلى اثر المطاردات التي قامت بهاالدولة آنذاك , اضطر ان يفر الى مازندران , ولم يكن اهالي هذه المنطقة قد اعتنقواالاسلام , وبعد دعوة دامت ثلاث عشرة سنة , استطاع ان يدخل جمعا كثيرا في الاسلام ,فاعتنقوا مذهب ((الزيدية)) واستطاع بعدها وبمساعدة هؤلا ان يسيطر على ناحية طبرستان وصار فيهم اماما وقائدا, واستخلفه من بعده اولاده , يسوسون الناس في تلك الديار.
وتعتقد ((الزيدية)) ان كل فاطمي , عالم , زاهد, شجاع , سخي , يثور لاحقاق الحق يستطيع ان يكون اماما.
كانت الزيدية في الابتدا مثل زيد, تعتبر الخليفتين الاولين ((ابابكر وعمر)) من الائمة , ولكن بعدها اسقط جماعة منهم اسم هذين الخليفتين من اسما ائمتهم , وابتداوابالامام علي (ع).
وحسب ما يقال ان ((الزيدية)) تتبع المعتزلة في الاسلام , وتوافق فقه ((ابي حنيفة)) في الفروع , وهناك اختلاف يسير بينهم في بعض المسائل .

٣.الاسماعيلية وانشعاباتها

الباطنية : كان الامام السادس للشيعة ولد يدعى ((اسماعيل)) وهو اكبر ولده ,توفي في زمن ابيه , وشهد الاب بوفاة ابنه , وطلب الشهادة من حاكم المدينة ايضا على وفاة ولده , الا ان هناك فريق يعتقد بعدم وفاة اسماعيل , وانه اختار الغيبة , وسوف يظهرثانية وهو المهدي الموعود, ويتضح ان اشهاد الامام السادس على وفاة ولده كان على قصد وعمد, وذلك خوفا من الخليفة العباسي المنصور, واعتقد جماعة ان الامامة الحقة هي لاسماعيل , ومع موته , انتقلت الى محمد, واعتقد آخرون ان اسماعيل وان ادركه الموت في زمن ابيه , الا انه امام , ومحمد بن اسماعيل ومن جا بعده من هذه السلالة ائمة ايضا.
انقرض الفريقان الاولان بعد زمن وجيز, وبقيت الفرقة الثالثة حتى وقتناالحاضر, وقد انشعبت انشعابات عدة

.
لدى ((الاسماعيلية)) فلسفة تشبه فلسفة عبدة النجوم , وفيها شي من التصوف الهندي , ويذهبون الى ان المعارف والاحكام الاسلامية , لها ظاهر وباطن , فلكل ظاهرباطن ولكل تنزيل تاويل , وتعتقد ان الارض لا تخلو من حجة , وحجة الله على نوعين :ناطق وصامت فالناطق هو النبي الاكرم (ص) والصامت هو الولي او الامام , وهووصي النبي (ص) وعلى اية حال , فان الحج ة هي المظهر الكامل للربوبية .
اساس الحجة عندهم يدور دائما على العدد, بهذا الترتيب , ان كل نبي عندمايبعث يختص بالنبوة ((الشريعة)) والولاية , وياتي بعده سبعة اوصيا, لكل منهم الوصاية ,ويعتبر جميعهم في نفس المنزلة والشان , سوى الوصي السابع الذي يختص بالنبوة ايضا, ويتصف بثلاثة مناصب , النبوة والوصاية والولاية , وبعده سبعة اوصيا, وللسابع منهم ثلاثة مناصب وهكذا.
فهم يقولون , ان آدم عليه السلام بعث بالنبوة والولاية , وكان له سبعة اوصيا,وسابعهم نوح النبي , وكان يختص بالنبوة والوصاية والولاية , والنبي ابراهيم هوالوصي السابع لنوح , والنبي موسى سابع الاوصيا لابراهيم , والنبي عيسى سابع الاوصيا لموسى , ومحمد (ص) سابع الاوصيا لعيسى , ومحمد بن اسماعيل الوصي السابع لمحمد (ص), بهذا الترتيب : محمد (ص) وعلي والحسين وعلي بن الحسين والسجاد ومحمد الباقر وجعفر الصادق واسماعيل ومحمد بن اسماعيل (والامام الثاني الحسن بن علي لايعدونه من الائمة) وبعد محمد بن اسماعيل سبعة من نسله وولده ,اسماؤهم مخفية مستورة وبعدهم سبعة من ملوك الفاطميين لمصر, اولهم عبيدالله المهدي مؤسس حكومة الفاطميين بمصر.
تعتقد الاسماعيلية , بان هناك اثنى عشر نقيبا موجودون دائما على الارض ,فضلا عن وجود حجة الله , فهم حواريو الحجة وخاصته , ولكن لبعض منهم وهم (الدروزية) الباطنية , تعتبر وتعد ستة من الائمة نقبا, والستة الاخرين من غيرهم .
ظهر شخص مجهول الهوية سنة ٢٧٨ ه في مدينة الكوفة , (قبل ظهور عبيدالله المهدي بسنوات) وكان

خوزستاني الاصل , وكان يقضي نهاره صائما, وليله قائما عابدا,ويسد رمقه من كسبه وعمله , كان يدعو لمذهب ((الاسماعيلية)) فاستطاع ان يكسب جماعة , ليكونوا له انصارا واعوانا, فانتخب منهم اثنى عشر شخصا, على انهم النقبا, ثم خرج من الكوفة متجها الى الشام , وما عرف عنه شي .
استخلف هذا الرجل المجهول في العراق , رجلا كان يدعى احمد ويعرف ب((القرمط)) فبث تعاليم الباطنية , وكما يشير المؤرخون بانه ابتدع صلاة جديدة , بدلا من الصلوات الخمس في الاسلام , والغى غسل الجنابة , واباح شرب الخمر وظهر في نفس العصر, زعما آخرون يدعون الى الباطنية , جمعوا جماعة من الناس حولهم .
فكان هؤلا يتعرضون لانفس واموال من لا يعتنق مذهب الباطنية , واستمروافي حركتهم هذه في العراق والبحرين واليمن والشام , قتلوا الابريا, ونهبوا الاموال ,وسلبوا قوافل الحجيج , سفكوا دما الالاف منهم , ونهبوا امتعتهم ورواحلهم .
استولى ((ابوطاهر القرمطى))احد زعما الباطنية على البصرة سنة ٣٢١ ه فقتل الناس , ونهب الاموال , ثم اتجه الى مكة مع جمع من الباطنية سنة ٣١٧ ه, وبعد صراع مع افراد الشرطة , دخل مكة , فقتل اهلها, والحجاج الواردين اليها, فسالت الدما في بيت الله الحرام والكعبة , وقسم ستار الكعبة بين انصاره بعد ازاحته , وقلع باب الكعبة ,واقتلع الحجر الاسود من مكانه , ونقله الى اليمن , وبقي هناك عند القرامطة مدة اثنين وعشرين عاما.
على اثر هذه الاعمال , ابدى عامة المسلمين تذمرهم وتنفرهم من ((الباطنية))واعتبروهم خارجين عن دين الاسلام , حتى ((عبيدالله المهدي)) احد ملوك الفاطميين ,الذي كان قد ظهر في افريقيا, وادعى لنفسه المهدوية , وانه المهدي الموعود, وامام الاسماعيلية , قد تبرا ايضا من القرامطة آنذاك .
وحسب ما يقره المؤرخون ان المعيار الديني للباطنية هو تاويل الاحكام الظاهرة للاسلام الى مراحل باطنية صوفية , ويعتبرون ظاهر الشريعة خاصا للاميين من الناس , الذين لم يتدرجوا طريق الكمال , ومع هذا كله , فقد كانت تصدر قوانين واحكام معينة من ائمتهم وزعمائهم بين حين وآخر.

٤.النزارية والمستعلية والدروزية والمقنعة

ظهر ((عبيدالله المهدي)) سنة ٢٩٦ للهجرة فيى افريقية , وادعى الامامة على طريقة الاسماعيلية , واسس الدولة الفاطمية , واختار خلفاؤه مصر دار خلافتهم , فحكم سبعة منهم على التوالي حكومة وامامة طبق مذهب ((الاسماعيلية)) دون ان يحدث انشعاب او انقسام وبعد الخليفة السابع وهو (المستنصر بالله سعد بن علي) تنازع ولداه ((نزار)) و ((المستعلي)) على الخلافة والامامة , وبعد صراع وحروب دامية , كانت الغلبة للمستعلي , فالقى القبض على اخيه نزار, وسجنه وبقي في السجن حتى توفي فيه .
وعلى اثر هذه المنازعة , انقسم اتباع الفاطميين الى قسمين : نزارية ومستعلية .
النزارية : هم من اتباع الحسن بن الصباح , وكان من المقربين للمستنصر, وبعدالمستنصر, اخرج من مصر بامر من المستعلي , لدفاعه وحمايته عن نزار فجا الى ايران وبعد فترة ظهر في قلعة الموت من نواحي قزوين فاستولى على هذه القلعة وقلاع اخرى مجاورة , فصار سلطانا عليها, ودعا الى نزار في البداية , وبعد وفاة ((حسن)) سنة ٥١٨هجا ((بزرك اميد رودبارى)) وبعده ابنه ((كيا محمد)) وحكما على طريقة ((الحسن الصباح)), وجا بعده ابنه ((حسن على ذكره السلام)) رابع ملوك قلعة الموت , فغير طريقة الحسن الصباح وكانت نزارية , وانتمى الى الباطنية .
فتح هولاكو خان بعد حملته على ايران قلاع الاسماعيلية وقتل جميع الاسماعيلين , وهدم قلاعهم , وبعد سنة ١٢٥٥ ه ثار آقا خان المحلاتي وكان من النزارية على محمد شاه القاجاري , وفشل في نهضته التي قام بها في مدينة كرمان وهرب الى بمبي , فنشر الدعوة الباطنية النزارية بامامته وزعامته هناك , ولا تزال دعوتهم باقية حتى الان , وتدعى النزارية الان بال(آقا خانية).
المستعلية : استقرت الامامة لاتباع المستعلي الفاطمي في خلفا الفاطميين بمصر حتى انقرضت سنة ٥٥٧ ه وظهرت بعد فترة فرقة (البهرة) في الهند على الطريقة نفسها, ولا تزال موجودة .
الدروزية : الطائفة الدروزية التي تقطن الان في جبال ((الدروز)) في الشام كانت في بداية الامر تابعة للخلفا الفاطميين , حتى ايام الخليفة السادس الفاطمي , دعت الى ((نشتجين الدروزي)) والتحقت بالباطنية .
تقف الدروزية عند الخليفة ((الحاكم بالله)) ويعتقد آخرون انه قتل , الا انها تدعي انه غاب عن الانظار, وعرج الى السما, وسوف يعود ثانية بين الناس .
المقنعة : كانت من اتباع ((عطا المروي)) المعروف بالمقنع في بادي الامر,وحسب مايذكره المؤخون انه كان من اتباع ابي مسلم الخراساني , وبعد وفاة ابي مسلم ,ادعى ان روح ابي مسلم قد حلت فيه , وادعى النبوة بعد ذلك , وبعدها ادعى الالوهية ,وحوصر سنة ١٦٢ في قلعة كيش من بلاد ماوراالنهر, وعندما تيقن من

محاصرته وحتمية قتله , اشعل نارا, ودخل فيها مع عدة من اصحابه واحترق , اختار اصحاب عطابعد زمن مذهب الاسماعيلية , والتحقوا بالفرقة الباطنية .

٥.الشيعة الاثنا عشرية , واختلافها مع الزيدية والاسماعيلية

ان الاقلية الشيعية التي مر ذكرها تنشعب عن الاكثرية الشيعية الامامية , وتسمى بالاثنى عشرية ايضا, وكما ذكرنا آنفا, كان بداية نشوئهم هو الاعتراض والانتقادلمسالتين اساسيتين من المسائل الاسلامية , علما بانهم لم يعارضوا القوانين التي كانت وفقا لتعاليم الرسول الاكرم (ص) بين المسلمين والمسالتان هما: ((الحكومة الاسلامية والمرجعية العلمية)) وتعتقد الشيعة بان تلك المسالتين من حق اهل البيت خاصة .
تؤمن الشيعة الاثنا عشرية , ان الخلافة الاسلامية بما فيها من ولاية باطنية وقيادة معنوية وهما جزان لا ينفكان عنها , من حق علي واولاده عليهم السلام ,وبموجب تصريح النبي الكريم (ص) وسائر ائمة اهل البيت (ع), انهم اثنا عشر اماما,وتؤمن ايضا ان التعاليم الظاهرية للقرآن والتي تعتبر من احكام الشريعة , تشتمل على الحياة المعنوية الكاملة ولها اصالتها واعتبارها, ولايعتريها اي نسخ حتى قيام الساعة ويجب ان تؤخذ هذه الاحكام والقوانين عن طريق اهل البيت , لا غير ومن هنا يتضح :
ان الاختلاف الاصلي بين الشيعة الامامية والشيعة الزيدية , هو ان الشيعة الزيدية غالبا لا تحصر الامامة في اهل البيت , ولا تقتصر في عدد الائمة على الاثني عشر, ولا تتبع فقه اهل البيت , على خلاف الشيعة الامامية والفارق الاساسي بين الشيعة الامامية والشيعة الاسماعيلية هو ان الاسماعيلية تعتقد بان الامامة تدور على (سبع)ولم تختم النبوة في محمد (ص), ولا تمتنع من تغيير او تبديل احكام الشريعة , وحتى ارتفاع اصل التكليف خاصة على قول الباطنية , على خلاف مذهب الشيعة الامامية الذي يعتقد بخاتمية النبوة في محمد (ص) وانه خاتم الانبيا, وله اثنا عشر وصيا,ويعتبر ظاهر الشريعة غير قابل للنسخ , ويثبتون للقرآن ظاهرا وباطنا.
اما طائفتا الشيخية والكريمخانية , واللتان ظهرتا فى الاقرنين الاخيرين بين الشيعة الامامية , فلم نعدهما انشعابا لان اختلافهما معا يدور حول توجيه وتفسير بعض المسائل النظرية , وليس في اثبات او نفي اصل المسائل .
وكذا فرقة ((علي اللاهية)) بالنسبة للشيعة الامامية ويسمون ب((الغلاة)) ايضا, فهم مثل الباطنية للشيعة الاسماعيلية , يعتقدون بالباطن فقط وبما انهم يفتقرون الى منطق دقيق فلم نعدهم فى حساب الشيعة .

٦.موجز عن تاريخ الشيعة الاثنى عشرية

كما اشرنا في الفصول المتقدمة , ان اكثرية الشيعة هم الاثنى عشرية وهم اصحاب علي وانصاره , الذين رفعوا راية المعارضة والانتقاد في موضوع الخلافه والمرجعية العلمية بعد وفاة الرسول الاكرم (ص) وذلك لاحيا حقوق اهل البيت , وبهذاانفصلوا عن اكثرية الناس .
كانت الشيعة مضطهدة في زمن الخلفا الراشدين (سنة١١ -٣٥ ه), ولم تكن لهم صيانة او حماية لانفسهم واموالهم طوال حكومة بني امية وخلافتهم (٤٠-١٣٢ ه) وكلماازداد عليهم الضغط والاضطهاد, كانوا اشد عزما في ارادتهم , واكثر رسوخا في عقيدتهم ,وكانوا يستفيدون من مظلوميتهم في سبيل عقيدتهم وتقدمها ونشرها.
ففي الفترة ما بين الدولتين الاموية والعباسية , حيث تسلم خلفا بني العباس الحكم كانت فترة ضعف وانهيار, استطاع الشيعة ان يتنفسوا الصعدا, وذلك في اواسطالقرن الثاني للهجرة ولكن سرعان ما عاد التضييق والاضطهاد عليهم وازداد شيئا فشيئاحتى اواخر القرن الثالث الهجري .
وفي اوائل القرن الرابع الهجري استعاد الشيعة قدرتهم بمجي سلاطين آل بويه وكانوا من الشيعة وحصلت على حرية فكرية وشرعت بنضالها واستمرت حتى نهاية القرن الخامس الهجري وفي اوائل القرن السادس الهجري , الذي يقترن مع حملة المغول وعلى اثر المشاكل العامة وكذا استمرار الحروب الصليبية ,
فالحكومات الاسلامية رفعت الاضطهاد والضغوط عن الشيعة وخاصة بعد اعتناق بعض سلاطين المغول في ايران دين الاسلام , وساهمت حكومة سلاطين مرعش في مازندران في تقوية الشيعة وتوسعها, مما جعل الشيعة يتمتعون بكثرة عددهم في كل بقعة من بقاع الممالك الاسلامية و خاصة في ايران , حيث كان الملايين من الشيعة واستمرت الحالة هذه حتى اواخر القرن التاسع الهجري وفي بداية القرن العاشر الهجري اثر ظهور الدولة الصفوية في ايران المتسعة الارجا آنذاك , اعترف رسميا بمذهب الشيعة ولا يزال حتى الان اواخر القرن الرابع عشر الهجري , يعتبر مذهبا رسميا للبلاد وفضلا عن هذا كله فان عشرات الملايين من الشيعة تعيش

حاليا في جميع بقاع العالم .
الفصل الثاني .

الفكر الديني لدى الشيعة

١.معنى الفكر الديني .

يطلق هذا الاصطلاح على التحقيق والبحث في موضوع من المواضيع الدينية للحصول على نتيجة معينة . كما ان المراد من الفكر الرياضي مثلا, هو الفكر الذي يعطي النتيجة لنظرية رياضية معينة , او يحل مسالة رياضية .

٢.المصادر الرئيسية للفكر الديني فى الاسلام

من الطبيعي ان الفكر الديني كسائر الافكار, يعتمد على مصادر, كي يستلهم منها مواده واسسه , كما هو الحال في الفكر الرياضي لحل مسالة ما, فانه لابد من الاستعانة بمجموعة من النظريات والفرضيات , وبالنتيجة ينتهى الى المعلومات الخاصة به , والمصدر الوحيد الذي يعتمد عليه الاسلام , (من جهة ارتباطه بالوحي السماوي) هوالقرآن الكريم , اذ انه المصدر الرئيسي للنبوة الشاملة للنبي الاكرم (ص) وما يحتويه من الدعوة الى الاسلام , فالقرآن لا ينفي المصادر الاخرى للفكر الصحيح والحجج الواضحة كما سنتعرض له .

٣.الطرق التي يعرضها الاسلام للفكر الديني

فالقرآن الكريم يضع ثلاثة طرق امام متبعيه للوصول الى المفاهيم الدينية والمعارف الاسلامية ويوضح لهم , ان الظواهر الدينية والحجج العقلية , والادراك المعنوي لا يتاتى الا من الخلوص في العبادة .
ان الله سبحانه يخاطب الناس عامة في القرآن , ويعرض امورا دون اقامة حجة او دليل , انطلاقا من قدرة هيمنته كخالق , ويطالب بقبول الاصول والاسس الاعتقادية ,كالتوحيد والنبوة والمعاد والاحكام العملية , كالصلاة والصوم وغيرهما كما يامر بالنهي والامتناع احيانا, واذا لم تكن الايات لتعطي الحجية , لم يكن ليطالب الناس بقبولهاواتباعها اذن لابد من القول بان هذه الايات الواضحة الدلالة طريق لفهم المفاهيم الدينية والمعارف الاسلامية وادراكها ونسمي هذا البيان اللفظى بالظواهر الدينية مثل ((آمنوابالله ورسوله)) و ((اقيموا الصلاة)).
ونجد القرآن من جهة اخرى في كثير من الايات يدعو الى الحجية العقلية ,وذلك بدعوة الناس الى التفكر والتدبر في الافاق والانفس , وهو يسلك الاستدلال العقلي في بيان الحقائق .
وحقا ان القرآن هو الوحيد من الكتب السماوية الذي يدل الانسان الى العلم والمعرفة بطريقة استدلالية فالقرآن ببيانه هذا يعتبر الحجة العقلية والاستدلال المنطقي من الامور المسلمة , اي انه لا يطالب بتقبل المعارف الاسلامية دون نقاش , ثم ينتقل الى الاحتجاج العقلي , ويستنتج منها المعارف الاسلامية , انطلاقا من الاعتماد الكامل على واقعيته اذ يقول , محصوا في الاحتجاج العقلي , واستنبطوا منه صحة المعارف ومن ثم القبول والرضا.
وما يسمع من كلام عن الدعوة الاسلامية , يمكن التامل فيه , والاستفسار عنه ,والاصغا الى قول الخالق وبالتالي , فان التصديق والايمان يجب ان يحصل عليه بدليل او حجة , وليس المراد الايمان مسبقا, ثم اقامة الادلة وفقا له , فالفكر الفلسفي طريق يدعمه القرآن الكريم ويصادق عليه , ومن جهة اخرى نرى القرآن الكريم وباسلوبه الرائع , يوضح لنا ان جميع المعارف الحقيقية تنبع من التوحيد ومعرفة الله حقيقة , وماكمال معرفة الله جل وعلا, الا لاولئك الذين جعلهم الله من خيرة عباده , وخصصهم لنفسه , وهم الذين قد قطعوا علاقاتهم وارتباطاتهم بهذا العالم , ونسوا كل شي , واثرالاخلاص والعبودية , وجهوا قواهم الى العالم العلوي , ونوروا قلوبهم بنور الله سبحانه ,ونظروا ببصيرتهم حقائق الاشيا, وملكوت السماوات والارض , لانهم قد وصلوا الى مرحلة اليقين , اثر اخلاصهم وعبوديتهم , وعند حصولهم على هذه المنزلة (اليقين),انكشف لهم ملكوت السماوات والارض , والحياة الخالدة في العالم الخالد.
ويتضح هذا الادعا مع الالتفات الى الايات الكريمة التالية :
قوله تعالى : ((وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انافاعبدون)).
وقوله تعالى : ((سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين)).

ويقول تعالى : ((قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقا ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا)).
ويقول سبحانه : ((واعبد ربك حتى ياتيك اليقين)).
وقوله : ((وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والارض وليكون من الموقنين)).
وقوله ((كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون)).
وقوله تعالى ايضا: ((كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم)).
اذن احد طرق استيعاب المعارف الالهية وادراكها هو تهذيب النفس والاخلاص في العبودية .

٤.الاختلاف بين هذه الطرق الثلاثة

اتضح مما سبق , ان القرآن الكريم يعرض ثلاثة طرق لفهم المعارف الدينية :الظواهر الدينية , والعقل , والاخلاص في العبودية , والذي مؤداه انكشاف الحقائق والمشاهدة الباطنية لها, ولكن يجب ان نعلم ان هذه الطرق الثلاثة , تتفاوت فيمابينها من جهات عدة :
الاولى : ان الظواهر الدينية , بيانات لفظية , تستفاد من ابسط الالفاظ, وفي متناول ايدي الناس , وكل يستفيد منها حسب قدرته وفهمه واستيعابه , على خلاف الطريقين الاخرين , اذ يختصان بجماعة خاصة , ولم يكونا لعامة الناس .
الثانية : ان طريق الظواهر الدينية , لهو الطريق الموصل الى اصول المعارف الاسلامية وفروعها, ويمكن من الحصول على المسائل الاعتقادية والاخلاقية , وكذاالكليات للمسائل العملية (فروع الدين), ولكن جزئيات الاحكام ومصالحها الخاصة بهالم تكن في متناول العقل , وخارجة عن نطاقها, وهكذا طريق تهذيب النفس , لا نتيجتهاانكشاف الحقائق , وهو علم لدني (من قبل الله تعالى), ولا يسعنا ان نحدد نتائجهاوالحقائق التي تنكشف عن هذه الموهبة الالهية , وهؤلا لما انفصلوا عن كل شي ونسوه , سوى الله تعالى , فانهم تحت رعاية الله بصورة مباشرة , وكل ما يريده (لا كل مايريدونه) ينكشف لهم .

٥.الطريق الاول :

الظواهر الدينية واقسامها

وكما سبقت الاشارة اليه , فان القرآن الكريم والذي يعتبر مصدرا اساسيا للفكرالديني الاسلامي , قد اعطى للسامعين حجية واعتبار ظواهر الالفاظ, وان هذه الظواهرللايات قد جعلت اقوال النبي الاكرم (ص) في المرحلة الثانية بعد القرآن , وتعتبر حجة كالايات القرآنية , ويؤيده قوله تعالى :
((وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)).
وقوله جل شانه : ((هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)).
وقوله ايضا: (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة).
فاذا لم تكن اقوال النبي الاكرم (ص) وافعاله وحتى صمته واقراره , حجة كالقرآن الكريم , لم نجد مفهوما صحيحا للايات المذكورة , لذا فان اقواله صلى الله عليه وآله وسلم حجة لازمة الاتباع , للذين قد سمعوه (ص), او الذين قد نقل اليهم عن طريق رواة ثقات , وكذلك ينقل عنه صلى الله عليه وآله وسلم عن طرق متواترة قطعية ان اقوال اهل بيته كاقواله , وبموجب هذا الحديث والاحاديث النبوية القطعية الاخرى ,تصبح اقوال اهل البيت تالية لاقوال النبي الاكرم (ص), وواجبة الاتباع , وان اهل البيت لهم المرجعية العلمية في الاسلام ولم يخطاوا في تبيان المعارف والاحكام الاسلامية ,فاقوالهم حجة يعتمد عليها سوا كانت مشافهة او نقلا.
يتضح من هذا التفصيل ان الظواهر الدينية والتي تعتبر مصدرا في الفكرالاسلامي على قسمين : الكتاب والسنة , والمراد بالكتاب , ظواهر الايات القرآنية الكريمة , والمقصود بالسنة , الاحاديث المروية عن النبي الاكرم (ص) واهل البيت (ع).

٦.حديث الصحابة

اما الاحاديث التي تنقل عن الصحابة , فاذا كانت متضمنة اقوال الرسول الكريم (ص) او افعاله , ولم تخالف احاديث اهل البيت , تؤخذ بنظر الاعتبار, واذا كانت متضمنة لراي الصحابي فحسب فليست لها حجية , ويعتبر الصحابي كسائر المسلمين , علمابان الصحابة انفسهم كانوا يعتبرون الصحابي كبقية المسلمين , ويعاملونه معاملتهم .

٧.بحث آخر في الكتاب والسنة

يعتبر كتاب الله (القرآن الكريم) هو المصدر الاساسي للفكر الاسلامي , وهوالذي يعطي الاعتبار والحجية للمصادر الدينية الاخرى , لذا يجب ان يكون قابلا للفهم لعامة الناس .
وفضلا عن هذا فان القرآن الكريم يعلن انه نور موضح لكل شي , وفي مقام التحدي , يطالب بتدبر آياته , اذ ليس فيه اي اختلاف او تناقض , واذا كان باستطاعتهم معارضته , والاتيان بمثله لفعلوا ذلك .
وواضح ان القرآن لو لم يكن مفهوما لدى العامة فان مثل هذه الايات لا اعتبارلها.
وليس هناك مجال للظن ان هذا الموضوع (القرآن يفهمه عامة الناس) يتنافى مع الموضوع السابق (ان النبي الاكرم (ص) واهل بيته , هم مراجع علمية للعارف الاسلامية ,والتي هي حقيقة يدل عليها القرآن الكريم).
ان بعضا من المعارف الاسلامية , وهي الاحكام والقوانين التشريعية , فان القرآن الكريم يشير الى الكليات منها, ويتوقف تفصيلها على الرجوع الى السنة ((حديث اهل البيت (ع) مثل احكام الصلاة والصوم والمعاملات وسائر العبادات .
وبعضها الاخر كالاعتقادات والاخلاق , وان كانت مضامينها وتفاصيلها يفهمهاالعامة , لكن ادراك وفهم معانيها, يستلزم اتخاذ نهج اهل البيت , مع الاستعانة بالايات ,فانها تفسر بعضها بعضا, ولا يمكن الاستعانة براي خاص , والذي اصبح من العادات والتقاليد, وباتت النفس تسانس به .
يقول الامام علي (ع): ((كتاب الله تبصرون به , وتنطقون به , وتسمعون به , وينطق بعضه ببعضه , ويشهد بعضه على بعض)).
يقول النبي الاكرم (ص): القرآن يصدق بعضه بعضا وكذا قوله (ص): من فسرالقرآن برايه فليتبوا مقعده من النار.
هناك امثلة بسيطة لتفسير القرآن بعضه ببعض , وذلك في قوله تعالى في قصة لوط ((وامطرنا عليهم مطرا فسا مطر المنذرين)).
وفي آية اخرى جات كلمة ((سا)) بكلمة ((حجارة)) كما في الاية الكريمة ((وامطرنا عليهم حجارة من سجيل)).
يتضح من الاية الثانية ان المراد من الاية الاولى ((فسا مطر)) هو ((حجارة سجيل)), والذي يتابع احاديث اهل البيت بدقة وكذا الروايات المنقولة عن مفسري الصحابة والتابعين , لا يتردد بان طريقة تفسير القرآن بالقرآن تنحصر في طريقة ائمة اهل البيت (ع).

٨.ظاهر القرآن وباطنه

اتضح ان القرآن الكريم بالفاظه وبيانه , يوضح الاغراض الدينية , ويعطي الاحكام اللازمة للناس في الاعتقادات والعمل بها, ولكن اغراض القرآن لا تنحصربهذه المرحلة , فان في كنه هذه الالفاظ وهذه الاغراض , تستقر مرحلة معنوية , واغراض اكثر عمقا, والذي يدركه الخواص بقلوبهم , الطاهرة المنزهة .
فالنبي العظيم , وهو المعلم الالهي للقرآن يقول : ظاهر انيق وباطن عميق ويقول ايضا ((للقرآن بطن وظهر ولبطنه بطن , الى سبعة بطون)), وقد ورد الكثير عن باطن القرآن , في اقوال اهل البيت (ع).
فالاصل في هذه الروايات , هو التشبيه الذي قد ذكره الله تعالى في سورة الرعدالاية ١٧ يشبه فيه الافاضات السماوية بالمطر الذي يهطل من السما بقوله :
((انزل من السما ما فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومماايوقدون عليه في النار ابتغا حلية او متاع زبد مثله , كذلك يضرب الله الحق والباطل ,فاما الزبد فيذهب جفا واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال)).
وتشير هذه الاية الى ان استيعاب الناس وقدرتهم على اكتساب المعارف السماوية والتي تنير النفوس , وتمنحها الحياة , متفاوتة .
فهناك من لا يعطي الاصالة لهذا العالم الذي سرعان ما يزول الا للمادة والحياة المادية , ولا يرجو سوى ما

تشتهيه نفسه من الحياة المادية , ولا يخشى الا الحرمان منها,وهؤلا على اختلاف في مراتبهم .
وغاية ما يمكن قبوله من المعارف السماوية , هو الاعتقاد بمجمل من المعتقدات , وادا احكام الاسلام العملية ظاهرا, ومن ثم عبادة الله جل شانه املا في الثواب وخوفا من العقاب .
وهناك اناس اثر صفا فطرتهم لا يرون السعادة بالركون الى لذائذ هذه الحياة بايامها القليلة الزائلة , وما الفائدة والضرر, والسعادة والبؤس في هذه الحياة الا ظن مغر,وما اولئك الذين كانوا بالامس سعدا, واصبحوا اليوم قصصا تروى , سوى دروس عبرلهم تلقى في اذهانهم باستمرار وعلى الدوام .
وهؤلا بالطبع يتجهون بقلوبهم المنزهة الى العالم الابدي وينظرون الى هذاالعالم بما فيه من مظاهر مختلفة , بانها دلالات واشارات لا غير, وليست فيها اية اصالة اواستقلال .
وعندما تفتح لهم ابواب من المعرفة والادراك المعنوي للايات والظواهرالارضية والسماوية , وتشرق في نفوسهم انوار غير متناهية من عظمة وجلال الخالق سبحانه , وتعجب نفوسهم وقلوبهم الطاهرة برموز الخليقة اعجابا, تعرج ارواحهم في الفضا غير المتناهي للعالم الابدي بدلا من انغماسها في مصالحها المادية الخاصة .
وعندما يستمعون عن طريق الوحي الالهي , ان الله تعالى قد نهى عن عبادة الاوثان , وظاهر الاية مثلا التعظيم امام الاصنام , فانهم يدركون ان العبادة تختص بالله سبحانه , وليس لاحد سواه , لان حقيقة العبادة هي العبودية المطلقة , واكثر من هذا فهم يدركون على ان الخوف والرجا لايكون الا من الله ولله وحده , ويجب الا يستسلموالاهوا النفس , ولا يجوز التوجه الا لله تعالى .
وعندما يتلى عليهم حكم وجوب الصلاة , وظاهر الحكم اقامة العبادة الخاصة ,لكن بحسب الباطن , يدركون ان هذه العبادة يجب ان تتحقق بقلوبهم وبكل وجودهم ,واكثر من هذا يجب ان ينسوا انفسهم , فهم لا شي تجاه الخالق , ويتفانوا في عبادة الله وحده .
وكما هو واضح ان المعنى الباطني المستفاد من المثالين السابقين , لم يكن مدلولا لفظيا للامر او النهي بذاته بل - للذي جعل مجال فكره متسعا - يرجح النظر الى العالم والكون على النظر في نفسه , وما تنطوي عليه من انانية وحب الذات .
ومع هذا البيان , يتبين معنى ظاهر القرآن وباطنه , وكذلك يتضح ان باطن القرآن لا يلغي ولا يبطل ظاهره , بل انه بمنزلة الروح التي تمنح الجسم الحياة , وبما ان الاسلام دين عام شامل وابدي , فانه يهتم اولا وقبل كل شي باصلاح المجتمع البشري , ولايتخلى عن الاحكام الظاهرية والتي مؤداها اصلاح المجتمع , وكذا لا يتخلى عن الاعتقادات البسيطة والتي تعتبر حارسة للاحكام المشار اليها.
وكيف يمكن لمجتمع ان ينال السعادة بالاقتناع ان الانسان يكفيه ان يكون منزها, وليس هناك ثمة اعتبار للعمل , ويعيش في حياة محاطة بعدم التنظيم والاستقرار؟.
وكيف يمكن لفكر سقيم واقوال سقيمة ان تخلق قلوبا طاهرة زكية , او ان يظهرمن قلب زكي , اقوالا سقيمة ؟.
ويقول تعالى في كتابه العزيز: ((الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات)).
ويقول ايضا: ((والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لايخرج الانكدا)).
ويستفاد مما ذكرنا ان للقرآن الكريم ظاهرا وباطنا, وباطنه ايضا ذو مراتب مختلفة , والحديث هو المبى ن لمفاهيم القرآن الكريم .

٩.تاويل القرآن

ومما كان مشهورا عند اخواننا اهل السنة في صدر الاسلام , هو امكان الرجوع عن ظاهر القرآن الكريم , اذا وجد دليل , وان تحمل الاية على خلاف الظاهر, هذا مايسمى ب((التاويل)) فكلمة التاويل في القرآن الكريم , كانت تفسر بهذا المعنى .
ومما يشاهد في كتب اهل السنة , ان المناظرات الدينية المختلفة , كانت تؤيدباجماع علما المذاهب , او بدليل آخر, فاذا ما خالفت ظاهر آية من الايات القرآنية ,كانوا يلجاون الى تاويل الاية , حملا لخلاف ظاهرها, واحيانا كان يلجا كل من الطرفين المتخاصمين , لقولين متضاربين , الى الايات القرآنية , والاحتجاج بها, وكل منهما كان يؤول آية الطرف المتخاصم .
قلما تسرب هذا النوع من الاحتجاج الى الشيعة , وقد ذكر في بعض كتبهم في علم الكلام ومما يستفاد من الايات القرآنية واحاديث اهل البيت بعد تدبرها ان القرآن الكريم مع صراحته ووضوح بيانه , لا يريد ان تكون الايات مبهمة وتبقى لغزا دون حل ,وكل ما جا الى الناس من احكام ومسائل , فهي الفاظ تناسب ذلك الموضوع .
وما يذكره القرآن بكلمة ((تاويل)) لم يكن مدلولا للفظ بل حقائق وواقعيات اعلى شانا من فهم عامة الناس ,

وهي الاساس للمسائل الاعتقادية والاحكام العملية للقرآن .
نعم ان لكل آيات القرآن تاويلا, ولا يدرك تاويله عن طريق التفكر مباشرة , ولايتضح ذلك من الفاظه , وينحصر فهمه وادراكه للانبيا والصالحين من عباد الله , الذين نزهوا انفسهم من كل رجس , فانهم يستطيعون ادراكه عن طريق المشاهدة , نعم ان تاويل القرآن سوف ينكشف يوم تقوم الساعة .
نحن نعلم جيدا ان احتياج المجتمع المادي , دفع الانسان الى الكلام , ووضع الكلمات وكذا كيفية الاستفادة من الالفاظ, فالانسان في حياته الاجتماعية مضطر ان يبدي ما في ضميره من مفاهيم الى ابنا نوعه , ويستمد العون في هذا عن طريق الصوت والاذن , وقلما استفاد من الاشارة او حركة العين , ومن هنا نجد ان التفاهم لا يحصل بين افراد صم عمي , لان ما يقوله الاعمى لايسمعه الاصم , وما يقوم به الاصم من الاشارات لا يراها الاعمى , فعلى هذا فان وضع الكلمات , وتسمية الاشيا ما هو الا لرفع الاحتياجات المادية , وقد اصطنعت الكلمات للاشيا والاوضاع والاحوال المادية التي تقع فيى متناول الحس , او على مقربة من المحسوس وكما نشاهد في موارد اذا كان المخاطب فاقدا لا حدى الحواس , واردنا التكلم معه عن طريق ذلك الحس المفقود,فاننا نلجا الى نوع من التمثيل والتشبيه , فعلى سبيل المثال , اذا اردنا ان نصف لشخص اعمى منذ الولادة , النور والضيا, واذا اردنا ان نصف لطفل لم يبلغ سن البلوغ , لذة العمل الجنسي , فاننا نقوم بنوع من المقارنة والتشبيه المناسب .
فعليه اذا افترضنا ان هناك في الكون واقعيات ليست بمادة (وواقع الامر هكذا)فهناك من البشر في كل عصر, لا يتجاوز عددهم عدد الاصابع , لهم القدرة على ادراكهاومشاهدتها, وهذه الامور لا يمكن توضيحها للاخرين عن طريق البيان اللفظي والفكرالاعتيادي , ولايسعنا الاشارة اليه الا بالتمثيل والتشبيه فالله تعالى يقول في كتابه العزيز((انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون , وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم)) اي اى لايتوصل اليه الفهم الاعتيادي , ولا يبلغه .
ويقول ايضا: ((انه لقرآن كريم , في كتاب مكنون , لا يمسه الا المطهرون)).
ويقول ايضا في شان النبي الاكرم (ص) واهل بيته (ع): ((انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا)).
وفقا لدلالات هذه الايات , فان القرآن الكريم يصدر من ناحية تعجز افهام الناس من الوصول اليها, والتوغل فيها, فلا يدركها الا من كان من المخلصين وعباده المقربين , واوليائه الصالحين , فاهل بيت النبي الاكرم (ص) خير مصداق لذلك .
ويقول عز من قائل : ((بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله , كذلك كذب الذين من قبلهم , فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)) اي ترى الاشيا بالعيان يوم القيامة .
ويقول ايضا في آية اخرى : ((هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جات رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعا فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غيرالذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون)).

١٠.تتمة البحث عن الحديث

ان اعتبار اصالة الحديث , والذي يؤيده القرآن الكريم , تقره الشيعة وسائرالمذاهب الاسلامية , ولكن اثر التفريط الذي حصل من الولاة والحكام في صدر الاسلام في حفظه , والافراط الذي حدث من الصحابة والتابعين في نشر الاحاديث , كانت عاقبة الحديث مؤسفة مؤلمة .
فمن جهة منع خلفا الوقت من كتابة الحديث وتدوينه , اذ كانوا يحرقون الاوراق التي دونت فيها الاحاديث , ماوسعهم ذلك , واحيانا كانوا يمنعون من نقل الاحاديث , هذاما ادى الى ان الكثير من الاحاديث اصابها التغيير والتحريف والنسيان ونقلت الاحاديث بمضامينها.
ومن جهة اخرى , قام صحابة النبي الاكرم (ص) الذين حضروا مجلسه ,واستمعوا الى حديثه , وكانوا مورد احترام خلفا الوقت وعامة المسلمين , قاموا بنشرالاحاديث حتى آل الامر الى ان يصبح الحديث ذا اهمية اكثر من القرآن , فاحيانا كان الدحيث ينسخ الاية .
وكان يتفق ان نقلة الاحاديث , يتحملون مصاعب الطريق والسفر لاستماع حديث واحد.
وقد تزيا بعض من ليس بمسلم بزي الاسلام , وتلبس به , وذهب بعض من اعداالاسلام الى وضع الاحاديث وتغييرها, حيث اسقطوا الحديث من الاعتبار, والوثوق به .
ولهذا السبب فكر علما الاسلام ومفكروهم لوضع حل لهذه المعضلة , فوضعواعلمين : علم الرجال وعلم الدراية , ليميزوا الحديث الصحيح من السقيم .
والشيعة فضلا عن انهم يهتمون بتنقيح سند الحديث , فانهم يرون وجوب مطابقة الحديث للقرآن الكريم في صحة اعتباره .

وقد ورد في اخبار كثيرة وباسانيد قطعية عن طريق الشيعة عن النبي الاكرم (ص), وائمة اهل البيت (ع), ان الحديث الذي يخالف القرآن لا اعتبار له , والحديث المعتبر هو ما وافق القرآن , فوفقا لهذه الاخبار الشيعية , لا يعمل بالاحاديث التي تخالف القرآن , اما الاخبار التي لا يعلم مدى مخالفتها او موافقتها, فانها توضع جانبا, دون رد اوقبول , ويعتبر مسكوتا عنه , ويستدل على هذا الامر باحاديث اخرى لائمة اهل البيت (ع), ولا يخفى ان هناك فئة من الشيعة , مثل ما عند اهل السنة , يعملون باي حديث يقع في متناول ايديهم .

١١.الشيعة والعمل بالحديث

الاحاديث التي سمعت من النبي الاكرم (ص) او ائمة اهل البيت (ع) دون واسطة , حكمها حكم القرآن الكريم اما الاحاديث التي وصلت الينا بواسطة , فان الشيعة تعمل بها كالاتي :
فيما يتعلق بالمسائل الاعتقادية والذي يصرح به القرآن , يستلزم العلم والقطع بالخبر المتواتر, او الخبر الذي تتوفر في صحته الشواهد القطعية , فانه يعمل به , وعداهذين النوعين , والذي يسمى الخبر الواحد, فلا اعتبار له .
ولكن في استنباط الاحكام الشرعية , نظرا للادلة القائمة , فضلا عن الخبرالمتواتر والخبر القطعي , فانه يعمل ايضا بالخبر الواحد الذي يكون موثقا.
اذن فالخبر المتواتر والخبر القطعي مطلقا عند الشيعة , يكون حجة ولازم الاتباع , اما الخبر غير القطعي (الخبر الواحد) فانه حجة بشرط ان يكون موثقا في نوعه ,وينحصر ذلك في الاحكام الشرعية .

١٢.التعلم والتعليم العام في الاسلام

تحصيل العلم احدى الوظائف الدينية في الاسلام , وخير دليل على ذلك , قول النبي الاكرم (ص) ((طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)) ووفقا للاخبار التي تؤيد بالشواهد القطعية , ان المراد من العلم , هو معرفة اصول الدين الثلاثة , التوحيد ـالنبوة ـ المعاد) مع ما يلازمها, ومعرفة الاحكام والقوانين الاسلامية بصورة مفصلة , كل حسب احتياجه .
وواضح ان تحصيل العلم في اصول الدين , وان كان مع دليل مجمل , فهو ميسورللجميع , ولكن تحصيل العلم مع تفاصيل الاحكام والقوانين الدينية , لا يتحقق الا من الاستفادة والاستنباط الفني من المصدرين الاصليين , الكتاب والسنة (الفقه الاستدلالي) وهذا ما لا يتيسر للجميع , فهناك من يستطيع ان يقوم بهذه المهمة .
والاسلام لا يشرع حكما فيه حرج , فعلى هذا فان تحصيل العلم للاحكام والشرائع الدينية عن طريق الدليل يعتبر واجبا كفائيا, يختص بمن له الكفاة والقدرة ,اما عامة الناس , فيجب عليهم الرجوع , وفقا للقاعدة العامة , وجوب رجوع الجاهل الى العالم , (قاعدة الرجوع الى الخبرة), وهو مراجعة من يسمون ب((المجتهدين الفقها))وتطلق على هذه المراجعة كلمة (التقليد) ولكن هذا الرجوع والتقليد ليس في اصول الدين .
ومما تجدر الاشارة اليه , ان الشيعة , لاتجيز التقليد الابتدائي من المجتهدالميت , والشخص الذي لا يعلم مسالة ما عن طريق الاجتهاد, فانه وفقا لوظيفته الدينية يجب ان يقلد المجتهد, ولا يستطيع الرجوع الى فتوى المجتهد المتوفي , ما لم يكن قدقلد في هذه المسالة مجتهدا حيا, وبعد وفاة المرجع والمقلد بقي على تقليده , وهذه المسالة هي احدى العوامل المهمة التى تجعل الفقه الاسلامي الشيعي يمتاز بالحيوية ,فيسعى جماعة للحصول على درجة الاجتهاد, والتحقيق في المسائل الفقهية .
ولكن اخواننا اهل السنة اثر الاجماع الذي حصل في القرن الخامس الهجري ,الداعي الى لزوم اتباع مذهب من الفقها الاربعة وهم : ابوحنيفة و المالكي والشافعي واحمد بن حنبل , فهم لا يجيزون الاجتهاد الحر, وكذا التقليد من غير هؤلا الاربعة ,وفي النتيجة فقد بقي فقههم كماكان عليه قبل حوالي الف ومائتي سنة , واخيرا انعزل جماعة من المنفردين عن الاجماع المذكور, واتجهوا نحو الاجتهاد الحر.

١٣.الشيعة والعلوم النقلية

العلوم الاسلامية التي دونها علما الاسلام , تنقسم الى قسمين : عقلية ونقلية ,فالعلوم النقلية , هي التي يعتمد عليها في النقل , مثل اللغة والحديث والتاريخ وماشابهها,والعلوم العقلية مثل الفلسفة والرياضيات .

ولا شك ان الدافع الاصلي لظهور العلوم النقلية في الاسلام , هو القرآن الكريم ,عدا علمين مثل علم التاريخ والانساب وعلم العروض اما سائر العلوم فهي وليدة هذاالكتاب الالهي .
دون المسلمون هذه العلوم بتتبعهم الديني , واهم ما فيها هو, الادب العربي وعلم النحو والصرف , وعلم البلاغة , وعلم اللغة , وما يتعلق بالظواهر الدينية , مثل فن علم القراة والتفسير والحديث والرجال والدراية والاصول والفقه .
والشيعة لهم دورهم وشاركتهم المهمة في تاسيس وتنقيح هذه العلوم , ويمكن القول بان المؤسس والمبتكر لكثير منها هم الشيعة , كما نجد ذلك في علم النحو, فقدصنفه ((ابوالاسود الدؤلي)) وهو احد صحابة النبي (ص) وعلي (ع) بعد ان املاه عليه الامام علي (ع) ويعتبر الصاحب بن عباد الشيعي من كبار مؤسسي علم الفصاحة والبلاغة , وكان من وزرا آل بويه واول كتاب صنف في علم اللغة هو ((كتاب العين)),لمؤلفه العالم المعروف ((الخليل بن احمد الفراهيدي البصري الشيعي)), وهو واضع علم العروض , واستاذ ((سيبويه النحوي)) في علم النحو.
وتنتهي قراة ((عاصم)) للقرآن الى علي (ع) بواسطة , و اما عبدالله بن عباس والذي يعتبر من افضل الصحابة في التفسير, فتلميذ للامام علي (ع), ولا ينكر احد مابذله اهل البيت وشيعتهم من جهد في علم الحديث والفقه , وان اتصال الفقها الاربعة وغيرهم بالامام الخامس والسادس للشيعة فمعروف , وما حصل عليه الشيعة من تقدم في اصول الفقه في زمن ((الوحيد البهبهاني)) (المتوفي سنة ١٢٠٥ هق) و بالاخص على يد ((الشيخ مرتضى الانصاري)), (المتوفي سنة ١٢٨١ هق) يثير الاعجاب ولا تقارن به اصول الفقه لدى اخواننا اهل السنة .
الطريق الثاني :
للمباحث العقلية :

١.التفكر العقلي والفلسفي والكلامي

قد اشدنا سابقا, ان القرآن الكريم يؤيد التفكر العقلي , ويعتبره جز من التفكرالديني والتفكر العقلي بعد ان يصادق على صدق نبوة النبي الاكرم (ص), يجعل الظواهرالقرآنية بما فيها الوحي السماوي , واقوال النبي (ص) واهل البيت (ع) من موارد الحجج العقلية والحجج العقلية التي يثبت بها الانسان نظرياته , مع ما لديه من فطرة الهية تنقسم الى قسمين : البرهان والجدل .
والبرهان : حجة , ومقدماته الواقعيات , وان لم تكن مشهودة او مسلمة , وبعبارة اخرى , امور يدركها الانسان اضطرارا مع ما عنده من فطرة الهية , ويصادق عليها, كمانعلم (ان العدد ثلاثة اصغر من العدد اربعة , فهذا النوع من التفكر, يدعى التفكر العقلي ,واذا تحقق وحصل ذلك في الكليات من العالم والكون , كالتفكر في بد الخلقة , وعاقبة العالم والعالمين , فهو ما يسمى بالتفكر الفلسفي .
والجدل : حجة , اذا حصلت مقوماته من المشهودات والمسلمات , كما هومتعارف بين معتنقي الاديان والمذاهب , اذ انهم يثبتون آرا ونظريات مذهب مع الاصول المسلمة لذلك المذهب .
والقرآن الكريم يستفيد من الطريقتين , وهناك آيات كثيرة في هذا الكتاب السماوي لكل من هاتين الطريقتين .
اولا: يامر بالتدبر والتفكر المطلق في الكليات لعالم الطبيعة وفي النظام العام للعالم , وكذا في النظام الخاص مثل , نظام السما والنجوم والليل والنهار والارض والنبات والحيوان والانسان وغيرها, ويثني على التتبعات العقلية الحرة ثنا جميلا.
ثانيا: يامر بالتفكر العقلي الجدلي , ويسمى عادة بالمباحث الكلامية , بشرط ان يتم ذلك باحسن وحه ممكن ((وذلك لاظهار الحق بدون لجاجة وان يكون مقرونابالاخلاق الحسنة)), كما في قوله تعالى : ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى احسن .

٢.مدى قدم الشيعة في التفكر الفلسفي والكلامي في الاسلام

منذ اليوم الذي انفصلت الاقلية الشيعية عن الاكثرية السنية , كانت الشيعة تقيم الاحتجاج مع مخالفيها في النظريات التي كانت تتبناها, والخاصة بها.
صحيح ان الاحتجاج ذو طرفين , والمتخاصمان شريكان في دعواهم , ولكن الشيعة كانت تقف موقف الهجوم , والاخرون كانوا في موقف الدفاع , فالذي يقف موقف الهجوم يجب ان يكون قد هيا الوسائل الكافية للمخاصمة , ومن ثم الاقدام والهجوم .
وكذا في التقدم الذي حظيت به المباحث الكلامية بصورة تدريجية , في القرن الثاني واوائل القرن الثالث , فقد

وصل في رقيه الى القمة مع انتشار مذهب الاعتزال ,فعلما الشيعة ومحققوهم , والذين هم تلاميذ مدرسة اهل البيت (ع), كانوا في المقدمة من المتكلمين .
فضلا من ان متكلمي اهل السنة , من الاشاعرة والمعتزلة وغيرهم , يصلون في تدرجهم هذا الى الامام الاول للشيعة , وهو الامام علي (ع), واما اولئك الذين عرفوآثار الصحابة , واطلعوا عليها, يعلمون جيدا ان من بين جميع هذه الاثار التي تنسب الى الصحابة , (وقد دونت اسما اثنى عشر الفا) لم نجد اثرا واحدا يشتمل على التفكرالفلسفي وينفرد الامام علي (ع) بخطابه وبيانه المبهر في معرفة الله تعالى , بانه يتصف بالتفكيرات الفلسفية العميقة جدا.
لم تكن للصحابة ولا التابعين الذين جاؤوا بعد الصحابة , والعرب بصورة عامة في ذلك اليوم , اية معرفة بالتفكر الفلسفي الحر, ولم نجد في اقوال العلما في القرنين الاولين للهجرة , نماذج من التدقيق والتتبع , بينما نجد الاقوال الرصينة لائمة الشيعة ,وخاصة الامام الاول والثامن , تحتوي على كنوز من الافكار الفلسفية , كما علمواتلاميذهم هذا اللون من التفكير.
نعم كان العرب بعيدين عن التفكر الفلسفي , حتى شاهدت نموذجا منها في ترجمة بعض الكتب الفلسفية اليونانية , المترجمة الى العربية في اوائل القرن الثاني للهجرة , وبعدها, ترجمت كتب متعددة في اوائل القرن الثالث الهجري من اليونانية والسريانية وغيرها الى العربية , وآنذاك اصبحت طريقة التفكر الفلسفي في متناول ايدي العموم , ومع هذا الوصف , فان الكثيرين من الفقها والمتكلمين , لم يبدوا اهتمامابالفلسفة وسائر العلوم العقلية , والتي وردت اليهم حديثا, وان كانت هذه المخالفة في بداية الامر ذات اهمية , بفضل الالتفات الخاص الذي كانت تبديه السلطة الحاكمة آنذاك لمثل هذه العلوم .
ولكن بعد زمن تغيرت الاوضاع والاحوال , فمنعت دراسة هذه العلوم , والقي في البحر بعض الكتب الفلسفية , وما كتاب رسائل ((اخوان الصفا)) وهو من نتاج فكري لعديد من مؤلفين , الا مذكر بتلك الفترة , فهو خير دليل على كيفية الاوضاع المضطربة في ذلك الزمن , وبعد هذه الفترة , اي في اوائل الفرن الرابع الهجري , ظهرت الفلسفة ونمت , على يد ((ابى نصر الفارابي)).
وفي اوائل القرن الخامس للهجرة , واثر مساعي الفيلسوف المشهور ((ابي علي سينا)) اتسعت الفلسفة اتساعا بالغا, وفي القرن السادس ايضا, نقح الشيخ ((السهروردي)) فلسفة الاشراق , وقد قتل بهذه التهمة , و بامر من الحاكم ((صلاح الدين الايوبي)) وبعدها ارتحلت قصة الفلسفة من بين الكثيرين , ولم ينبغ فيلسوف شهير,حتى جا القرن السابع الهجري فظهر في ((الاندلس)) اطراف الممالك الاسلامية , ((ابن رشد الاندلسى)) وسعى في تنقيح الفلسفة .

٣.الشيعة يهتمون دائما بحقل الفلسفة وسائر العلوم العقلية

الشيعة ـ كما اشرنا ـ كانوا عاملا مؤثرا في ايجاد الفكر الفلسفي , ويعتبرون عاملامهما في تقدم هذا الفكر, وكانوا يسعون دوما في نشر العلوم العقلية , ومع وفاة ((ابن رشد)) ذهبت الفلسفة من بين الاكثرية من اهل السنة , ولكنه لن ترحل من بين الشيعة ,وبعدها اشتهر فلاسفة كبار مثل ((خواجه نصيرالدين الطوسي)) و((ميرداماد)) و((صدرالمتالهين)) وسعى كل من هؤلا, الواحد بعد الاخر في تحصيل العلوم الفلسفية وتدوينها.
و كذلك في سائر العلوم العقلية ظهر كل من ((الخواجه الطوسي)) و ((البيرجندي))وغيرهم كل هذه العلوم وخاصة الفلسفة الالهية , تقدمت تقدما باهرا اثر المساعي الدائبة لعلما الشيعة ومفكريهم , ويتضح ذلك , بمقارنة آثار كل من ((الخواجه الطوسي))و ((شمس الدين تركه)) و ((مير داماد)) و ((صدر المتالهين)) مع مؤلفات القدما.

٤.لماذا استقرت الفلسفة عند الشيعة ؟

فكما ان العامل المؤثر في وجود ونشاة الفكر الفلسفي والعقلي بين الشيعة هوآثار ائمة الشيعة وعلمائهم , والتي بواسطتهم اصبحت من الذخائر العلمية الشيعية لدى الاخرين , فان بقا واستقرار هذه اللون من الفكر, يرجع الى وجود تلك الذخائر العلمية ,التي يهتم بها الشيعة ويبدون لها احتراما وتقديسا, ولكي يتضح الامر, يكفينا مقارنة الذخائر العلمية لاهل البيت (ع) مع الكتب الفلسفية التي صنفت مع مرور الزمن , فاننا سنرى بوضوح , ان الفلسفة كانت تقترب من الذخائر العلمية في اكثر الموارد, وحتى مجي القرن الحادي عشر, فانها كانت متقاربة جدا, بل منطبقة , ولم يكن هناك فارق سوى اختلاف في التعبير.

٥.خمسة من نوابغ علما الشيعة

١) ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني , المتوفى سنة ٣٢٩ للهجرة .
هو اول علم شيعي , استخرج ورتب الموضوعات الفقهية والاعتقادية منه الروايات الشيعية التي كانت مدونة في الاصول , (الاصل هو ما جمعه المحدث من روايات اهل البيت (ع) في مصنف خاص) فسمى كتابه ب((الكافي)) وينقسم الى اقسام ثلاثة :
الاصول والفروع والروضة (المتفرقات), ويشتمل على ١٦١٩٩ حديثا, ويعتبرهذا الكتاب من اشهر كتب الحديث التي عرفت في عالم التشيع , وهناك ثلاثة كتب ,تاتي بعد ((الكافي)) من حديث الاهمية وهي :
كتاب ((من لايحضره الفقيه)) للشيخ ((الصدوق محمد بن بابويه القمي)) المتوفى سنة ٣٨١ للهجرة وكتاب ((التهذيب)) و كتاب ((الاستبصار)) لمؤلفهما ((الشيخ الطوسي))المتوفى سنة ٤٦٠ للهجرة .
٢) ابوالقاسم جعفر بن حسن بن يحيى الحلي المعروف بالمحقق المتوفى سنة٦٧٦ للهجرة .
يعتبر من نوابغ علم الفقه , ومن اشهر مشاهير فقها الشيعة , وما كتاب ((المختصرالنافع)) وكتاب ((الشرائع)) الا من اروع ما حرره في الفقه , ومنذ ٧٠٠ سنة وحتى الان لايزال مورد اعجاب وتقدير الفقها, وفي متناول ايديهم .
ومن الكتب التي تاتي بعد الكافي هو كتاب ((اللمعة الدمشقية)) لمؤلفه ((المحقق)) الشهيد الاول ((شمس الدين محمد بن مكي)) استشهد في دمشق سنة ٧٨٦للهجرة , بتهمة تشيعه , وقد دون كتابه هذا بمستوى رفيع , في السجن , خلال سبعة ايام .
ويعتبر كتاب ((كشف الغطا)) للشيخ ((جعفر كاشف الغطا النجفي)) من اجودمؤلفاته .
٣) الشسخ مرتضى الانصاري التستري المتوفى سنة ١٢٨١ للهجرة .
نقح علم اصول الفقه , وحرر طرق الاصول العملية , والتي تعتبر من اهم اقسام هذا الفن , ولا تزال مدرسته (طريقته) قائمة , وموضع تقدير العلما منذ ١٠٠ عام .
٤) الخواجة نصيرالدين الطوسي , (المتوفى سنة ٦٧٦ للهجرة).
وهو اول من اظهر علم الكلام , بصيغته الفنية الكاملة , ومن اشهر مؤلفاته واجودها كتاب ((تجريد الكلام)) ولا يزال ومنذ اكثر من ٧٠٠ سنة , لم يفقد اعتباره بين رواد هذا الفن , وقد طبع الكتاب مع شروح وحواش عديدة من قبل العامة والخاصة .
فهو فضلا عن نبوغه في علم الكلام , يعتبر من نوابغ عصره في علم الفلسفة والرياضيات ايضا, وخير شاهد على ذلك , هو الكثير من مؤلفاته المهمة في مختلف العلوم العقلية , وقد قام بانشا مرصد ايضا.
٥) صدرالدين محمد الشيرازي ,.
المولود سنة ٩٧٩, والمتوفى سنة ١٠٥٠ للهجرة .
هو اول فيلسوف قام بتصنيف وترتيب المسائل الفلسفية كالمسائل الرياضية (بعد سيرها قرونا متمادية في العصر الاسلامي) بعد ان كانت مبعثرة , فحصلت النتائج التالية :
اولا: فسح المجال للفلسفة بان تطرح وتحل فيها مئات من المسائل الفلسفية ,والتي لم يكن لها المجال ان تطرح في السابق .
ثانيا: اتيح المجال لعرض مجموعة من المسائل العرفانية , (والتي كانت حتى ذلك الوقت تعتبر موضيع خارجة عن نطاق العقل , وفوق مستوى الفكر الانساني)وبحثها وتمحيصها بايسر السبل .
ثالثا: اتضحت كثير من الظواهر الدينية , والعبارات الفلسفية العميقة لائمة اهل البيت (ع), والتي بقيت لقرون متتالية تتصف باللغز الذي لايحل , وكانت تعتبر من المتشابهات غالبا, وبهذا اتصلت الظواهر الدينية بالعرفان والفلسفة في اكثر الموارد,وسلكت سويا, طريقا واحدا.
وهناك من قام بهذه المهمة قبل ((صدر المتالهين)) ايضا, مثل الشيخ ((السهروردي)) مؤلف كتاب ((حكمة الاشراق)) من فلاسفة القرن السادس , و((شمس الدين محمد تركه)) من فلاسفة القرن السادس الهجري , حيث قاما بدراسات مثمرة , الاانهما لم يوفقا توفيقا كاملا, وقد حظي بهذه الموفقية ((صدر المتالهين)).
وفق صدر المتالهين اثر اتخاذ هذه الطريقة في ان يثبت نظرية الحركة الجوهرية ,واكتشف البعد الرابع والنظرية النسبية (خارج عن نطاق الذهن والفكر), وصنف مايزيدعلى خمسين كتابا ورسالة ومن اهم كتبه في الفلسفة , كتاب (الاسفار) في اربعة مجلدات .
الطريق الثالث :
الكشف .

١.الانسان ودركه للعرفان

في الوقت الذي , تسعى الاكثرية من الناس في امور معاشهم , ورفع احتياجاتهم اليومية للحياة , غير مبالين بالمعنويات , نجد ان هناك غريزة في وجودهم , تدعى غريزة حب الذات , نراها تنمو عندهم , وتجبرهم على ادراك مجموعة من القضايا المعنوية .
كل انسان (على الرغم من ان السفسطائيين والشكالين يسمون كل حقيقة واقعية خرافة) يؤمن بواقعيات ثابتة , ونراه احيانا, ينظر بفطرته وضميره المنزه , الى الواقعيات الثابتة في الكون , هذامن جهة , ومن جهة اخرى , يحس بفنا اجزا هذا العالم , فانه يرى العالم وظواهره كالمرآة التي تعكس الواقعيات الثابتة الخلابة , وعند احساس لذاتها,تجعل اللذائذ الاخرى حقيرة في نظره , وبالتالي تجعله ينصرف عن الحياة الفتانة الفانية .
هذا هو مدى جاذبية العرفان , التي تسلك بالمؤمن الى العالم العلوي , وتقر في قلبه عظمة الله وجلاله , فينسى كل شئ , ويغفل عنه , وتحرضه على ان ينبذ كل مايتمناه ويرجوه في هذه الحياة , وتدعوه الى عبادة الله الذي لا يرى , وهو اوضح من كل ما يرى ويسمع .
وفي الحقيقة ان هذه الجاذبية الباطنية , هي التي قد اوجدت في عالم الانسان ,سبل عبادة الله تعالى والعارف هو الذي يعبد الله سبحانه عن حب واخلاص , لا عن امل وثواب ولا عن خوف وعذاب من هنا يتضح ان العرفان ليس مذهبا في قبال المذاهب الاخرى , بل العرفان طريق من طرق العبادة (عبادة للحب والاخلاص , لا للخوف والرجا) وهو طريق لدرك وفهم حقائق الاديان , في قبال طريق الظواهر الدينية وطريق التفكر العقلي .

كل الاديان الالهية , وحتى الوثنية , لها اتباعها, فهم يسلكون هذا الطريق ايضا,فلكل من الوثنية واليهودية والمسيحية والمجوسية والاسلام , لها اناس عارفون وغيرعارفين .

٢.ظهور العرفان في الاسلام

من بين صحابة النبي الاكرم (ص) (وقد جا ذكر ما يقارب من اثنى عشر الفامنهم في كتب الرجال) ينفرد الامام على (ع) ببيانه البليغ عن حقائق العرفان , ومراحل الحياة المعنوية , اذ يحتوي على ذخائر جمة , ولم نجد مثيله في الاثار التي بايدينا من بقية الصحابة , واشهر اصحاب الامام علي (ع) وتلاميذه ((سلمان الفارسي)) و ((اويس القرني)) و ((كميل بن زياد)) و ((رشيد الهجري)) و ((ميثم التمار)) و العرفانيون عامة في الاسلام يجعلون هؤلا ائمة وهداة لهم .
وهناك طائفة اخرى تاتي في الدرجة الثانية , وهم ((طاووس اليماني)) و ((مالك بن دينار)) و ((ابراهيم الادهم)) و ((شقيق البلخي)) الذين ظهروا في القرن الثاني الهجري ,وكانوا يعرفون بالزهاد واولیا الله الصالحين , دون ان يتظاهروا بالعرفان والتصوف ,وعلى اية حال , فانهم لم ينكروا ارتباطهم ومدى تاثرهم بالطائفة الاولى .
وهناك طائفة ثالثة ظهرت في اواخر القرن الثاني واوائل القرن الثالث للهجرة مثل ((بايزيد البسطاني)) و ((المعروف الكرخي)) و ((جنيد البغدادي)) وغيرهم , الذين سلكوا طريق العرفان , وتظاهروا بالعرفان والتصوف , ولهم اقوال تدل على مدى المكاشفة والمشاهدة لديهم , وان كانت هذه الاقوال تتصف بظاهرها اللاذع , الا انها قداثارت عليهم الفقها والمتكلمين في دلك العصر, وسببت المشاكل والفتن فادت الى ان يزج ببعضهم في السجون ويقدم بعضهم الاخر الى اعواد المشانق .
مع هذا الوصف , ابدوا التعصب لطريقتهم امام المخالفين , فبهذا كانت الطريقة تتسع وتنتشر يوما بعد يوم , ونجدها قد وصلت الى ذروتها في القدرة والانتشار, في القرنين السابع والثامن الهجريين , حيث كانت تتسم بالرفعة والعلو تارة , والسقوطوالانحطاط تارة اخرى , ولا تزال تمارس حياتها حتى اليوم .
والظاهر ان اكثر مشايخ العرفان الذين جا ذكرهم في كتب العرفان , كانوا على مذهب اهل التسنن , والطريقة التي نشاهدها اليوم (والتي تشتمل على مجموعة من عادات وتقاليد, لم نجد في الكتاب والسنة اساسا لها) تذكرنا بتلك الايام , وان كان بعض من تلك العادات والتقاليد انتقلت الى الشيعة .
وكما يقال , ان هؤلا كانوا يعتقدون ان الاسلام يعوزه منهج للسير والسلوك ,والمسلمون استطاعوا ان يصلوا الى طريقة معرفة النفس , وهي مقبولة لدى الباري عزوجل , مثل ما في الرهبانية عند المسيحيين , اذ لم يوجد اساس له في الدعوة المسيحية , فاوجدها النصارى وحبذها جمع وانتهجها.
ويستنتج مما ذكر, ان كلا من مشايخ الطريقة , جعل كل ما رآه صلاحا من عادات وتقاليد, في منهج سيره وسلوكه وامر متبعيه بذلك , وبمرور الزمن اصبح منهاجاوسيعا مستقلا, مثل مراسم الخصوع والخشوع , وتلقين الذكر والخرقة والاستفادة من الموسيقى والغنا عند اقامة مراسم الذكر, حتى آل الامر في بعض الفرق منها الى ان تجعل الشريعة في جانب , والطريقة في جانب آخر, والتحق متبعو هذه الطريقة بنهج الباطنية , ولكن المعايير للنظرية الشيعية , استنادا على مصادر اساسية للاسلام (الكتاب والسنة) تقر خلاف ذلك , ومن المستحيل ان النصوص الدينية قد تغافلت عن هذه الحقيقة , او انها اهملت جانبا من جوانب هذا النهج والطريق , ويستحيل عليها ايضا ان تغض النظر عن شخص (اي كان) من واجبات او محرمات .

٣.ارشاد الكتاب والسنة الى معرفة النفس , ومناهجها

ان الله تعالى جل شانه , يامر الناس في آيات متعددة في كتابه المجيد, ان يتدبروا القرآن , ويعملوا به , ولايقنعوا انفسهم بالفهم والادراك السطحي للقرآن , وبين في كثير من آياته ان عالم الطبيعة بما فيها (دون استثنا) آيات ودلالات له جل جلاله .
فلو تاملنا وتدبرنا معنى الاية والدلالة , يتضح ان الاية والدلالة هي التي تشيرالى شي آخر لا الى نفسها, فعلى سبيل المثال , ان الذي يرى الضوء الاحمر, المشعربالخطر, فانه مع مشاهدته للضوء, يتبادر الى ذهنه الخطر ذاته , ولا يلتفت الى الضوءنفسه , واذا ما فكر في الضوء نفسه , او ماهية الزجاج او لونه , فذهنه يصور له الضوء اوالزجاج او اللون , ولا يصور له مفهوم الخطر.
اذن اذا كان العالم وظواهره , آيات ودلالات لخالق العالم , فانها مع وجودها هذاليست مستقلة , ولو شوهدت باي شكل او اية صورة , فانما ترشد الى وجوده سبحانه ,والذي ينظر الى العالم والعالمين بهذا المنظار, ووفقا لتعاليم القرآن الكريم وهدايته , لايرى الا الله سبحانه , وبدلا من ان يرى جمال العالم , فانه يرى جمالا

ازليا غير متناه ,والذي يتجلى من هذه الزاوية (زاوية العالم), وعندئذ يهب حياته , وينسى ذاته , ويفنى في حب الله جل شانه .
وهذا الادراك ـ كما يتضح ـ لا يحصل عن طريق الحواس , كالعين والاذن , ولاعن طريق الخيال والعقل , لان هذه لم تكن سوى آيات ودلالات , فهي في غفلة عن هذه الدلالة والهداية .
وهذا الطريق , الذي لابد لسالكه ان ينسى كل شي سوى الله تعالى , عندمايستمع الى قوله في كتابه المجيد:
((يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم , الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعلمون)).
سيعلم ان الطريق الرئيسي الذي ينتهي به الى الهداية الواقعية والكاملة , هوطريق النفس الانسانية , والمرشد الحقيقي له , هو الله تعالى , فقد كلفه بمعرفة نفسه , وان يسير في هذا السبيل , بتركه للسبل الاخرى ليرى الله من هذه الطريق , فانه سيدرك مطلوبه الحقيقي .
والنبي الكريم (ص) يقول : ((من عرف نفسه فقد عرف رب ه)).
ويقول ايضا: ((اعرفكم بنفسه , اعرفكم بربه)).
واما طريقة السير والسلوك , وهي طريقة الكثير من الايات القرآنية التي تامربذكر الله تعالى , كقوله :
(فاذكروني اذكركم) وغيرها من الايات في الكتاب , والاقوال في السنة , فقد جات مفصلة , ويختتمها بقوله :
((لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة)).
وهل من الممكن ان يتصور, ان الاسلام , يعرف لنا الطريق الى الله تعالى , ولايحث الناس على تتبعه , او ان يعرفه ويغفل عن تبيان نهجه او ان يهمله , في حين نجده يقول عز من قائل :
((ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)).
الفصل الثالث :

المعتقدات الاسلامية من وجهة نظر الشيعة الامامية

معرفة الله :

١.النظر الى الكون عن طريق المخلوقات والواقعيات ضرورة وجود الله تعالى

ان اول خطوة يخطوها الادراك والشعور لدى الانسان واللذان وجدا منذ وجوده ـ تبين له حقيقة وجود الخالق والمخلوق , لان اولئك الذين يشكون في وجودهم وفي كل شي , ويعتبرون العالم ظنا وخيالا, فاننا نعلم , ان الانسان منذ وجوده يلازمه الادراك والشعور, يرى نفسه والعالم اجمع , اي انه لا يشك (بوجوده ولا يشك باشيا اخر غيره)ومازال الانسان انسانا, فان هذا الادراك والشعور يكمن فيه , وليس هناك مجال للشك والتردد.
هذه الواقعية والوجود الذي يثبته الانسان امام السفسطائيين والمشككين , امرثابت لا يعتريه البطلان , وفي الحقيقة ان كلام السفسطائيين والمشككين ينفي واقعية قائمة في حد ذاتها, كلام باطل , لايبنى على الصحة اطلاقا, لذا فان العالم والكون ينطوي على واقعية ثابتة .
ولكن كل من هذه الظواهر التي تنطوي على واقعية , والتي نشاهدها عيانا, تفقدواقعيتها وتصير الى الفنا, سوا في القريب او البعيد من ادوار حياتها.
ومن هنا يتضح ان العالم المشهود و اجزاه , لم تكن عين الواقعية (والتي لايمكن انكارها), بل تعتمد وتستند الى واقعية ثابتة , وبتلك الواقعية , تتصف بالواقعية ,وتتصف بالوجود, ومادامت مرتبطة ومتصلة بها, فهي موجودة باقية , وما ان انقطعت عنهازالت وفنت , ونحن نسمي هذه الواقعية الثابتة التي لايعتريها البطلان ب(واجب الوجود)او الله سبحانه .

٢.نظرة اخرى عن طريق ارتباط الانسان بالعالم خاتمة الفصل وحدانية الله تعالى

ان الاسلوب الذي اتبع في الفصل السابق , لاثبات وجود الله تعالى اسلوب بسيط ساذج , وواضح ان الانسان مع فطرته التي اودعها الله اياه , ينتهجها, وليس هناك اي رادع او مانع , ولكن معظم الناس , مع ارتباطهم المستمر بالماديات , وتفانيهم في اللذائذ المحسوسة , يصعب عليهم الرجوع الى الفطرة , وهي الفطرة الالهية

البينة .
فعلى هذا فان الاسلام بشرائعه المنزهة , يعلن ان شريعته عامة , والكل سواسية امام الدين ومقاصده , فهو يثبت وجود الله تعالى مع هؤلا الناس عن طريق واسلوب آخر, وهو الفطرة الواضحة , والتي غفل عنها البشر, فيخاطب البشر بها, ويعرف الله جل شانه عن طريقها.
فالقرآن الكريم , يتخذ طرقا شتى لاجل معرفة الله تعالى للبشر كافة , فهو يلفت الانظار, ويوجه الافكار غالبا الى خلقة العالم , والنظام والتنسيق القائم فيه , ويدعو الى ملاحظة ودراسة الافاق والانفس , ذلك بان الانسان في حياته المحدودة , لايتخلف ولايخرج عن الطبيعة والنظام الحاكم فيها مهما سلك من سبل , واستغرق من حالات , ولن يغض النظر عن المشاهد الخلابة , سوا في الارض او في السما, بما اوتي من شعوروادراك .
ان عالم الوجود بما يتصف من سعة فان كل جز منه , بل وجميع اجزائه معرضة للتغيير والتبديل المستمرين , وتظهر في كل لحظة بشكل جديد غير سابقتها.
ووفقا للقوانين التي لا تقبل الاستثنا, يتحقق ما يجب تحققه , والكون بما فيه من ابعد مجرة الى اصغر ذرة , والذي يؤلف العالم اجمع , ينطوي على نظام واضح بين ,يجري وفقا لقوانين مدهشة ومحيرة للعقول , وتسير عمله من ادنى حالة الى اكملها, كي يوصله الى الهدف الاسمى وهو الكمال .
وفوق الانظمة الخاصة , توجد انظمة اعم , وهي النظام العام للكون , الذي يربطاجزاه العديدة التي لاتحصى بعضها ببعض , ويوفق بين الانظمة الجزئية , ويربط بعضهابعضها الاخر, فهي في سيرها المستمر لن تتصف بالاستثنا او الاختلال .
فنظام الخلقة مثلا اذا اسكن الانسان على الارض , جعلت خلقته تتناسب مع المحيط الذي يعيش فيه , وجعلت المحيط بشكل يتناسب وذلك المخلوق , كالمربية العطوف التي تربي النشا بكل عطف وحنان , فالعالم بما فيه من شمس وقمر ونجوم وماوتراب وليل ونهار, والفصول السنوية , والسحاب والرياح الامطار, والكنوز التي تحت الارض وفوقها وبالتالي كل ما تملك من قوة سخرت كلها لراحة الانسان وسعادته , واننانلاحظ هذا الارتباط والتعاون في كل مظهر من مظاهر الطبيعة , وفي كل ما يجاورنا من قريب او بعيد, وحتى في البيت الذي نعيش فيه .
ومثل هذا الاتصال والارتباط قائم في جميع اجزا الاجهزة الداخلية لكل مظهر من مظاهر هذا العالم , فالطبيعة لما منحت الانسان الخير مثلا, منحته الارجل للحصول عليه , واليد لتناوله , والفم لاكله , والاسنان لمضغه , وربطته بسلسلة من الوسائل المرتبطة ببعض كالسلاسل , والتي ترتبط بالهدف الغائي وهو البقا والكمال لهذاالمخلوق .
ولم يشك احد من علما العالم ان الارتباطات اللامتناهية , والتي حصل عليهااثر الدراسات العلمية لالاف السنين , ما هي الا طليعة وبداية مختصرة لاسرار الخلقة ,والتي تتبعها دراسات لا نهاية لها, وكل كشف جديد, انما هو بمثابة انذار للبشرية عن مجهولات لا حصر لها, وهل يمكن القول بان هذا الكون الرحب , مع استقلال اجزائه ,يمتاز بوحدة واتصال ومع ما فيه من اتقان مدهش , يدل على علم وقدرة غير متناهية ,وهل يمكن القول بانه وجد دون خالق , ولم يكن هناك سبب او هدف من ايجاده ؟ .
وهل يمكن التصديق بان كل هذه الانظمة سوا الجزئية منها او الكلية , وكذاالنظام العام القائم في الكون , مع ما يتصف به من ارتباط محكم غير متناه , والذي يسيروفق نظام دقيق خاص , لا يقبل التغيير والاستثنا, كل هذا قد جا دون حساب , وانمامجرد المصادفة هي التي لعبت دورها في خلقه وايجاده ؟ ام ان كلا من هذه الظواهروالاجوا سوا الصغيرة منها او الكبيرة في العالم , قد اتخذت لها نهجا قبل حدوثهاوخلقتها, وبعد ان وجدت سلكت ذلك السبيل والنهج ؟.
ام ان هذا الكون مع وحدته الكاملة الشاملة , والاتصال والارتباط القائم بينها,فهو ككل , لايعدو مجموعة متكاملة واحدة , قد انشئت وخلقت نتيجة لعوامل متعددة مختلفة , ويسير وفقا لقوانين متباينة ؟.
من الطبيعي ان الشخص الذي يرجع كل ظاهرة لمسبب وكل معلول لعلة , ويتفق احيانا ان يبحث عن مشبب مجهول اياما عديدة , ليصل في النهاية الى العلة , ويتابع التقدم العلمي , هذا الشخص الذي عند مشاهدة عدة احجار بصورة منتظمة منسقة ,ينسبها الى علم وقدرة قامت بصنعها, وبذلك ينفي المصادفة مطلقا, ويحكم بوجودتخطيط هادف , لم يكن ليحكم على وجود العالم دون مسبب , ولا يدعي ان المصادفة هي التي اوجدت هذا النظام والتنسيق .
لذا فان الكون , بما فيه من انظمة مهيمنة , مخلوق خالق عظيم , هو الذي اوجده بعلمه وقدرته غير المتناهية , ويسيره الى غاية وما العوامل البسيطة التي تنشئ الحوادث البسيطة , في العالم الا منتهية اليه , فهي تحت قدرته وهيمنته وتسخيره , وكل ما في الكون محتاج اليه , وهو غير محتاج لاحد او لشي , ولم يكن معلولا لعلة , ولامسببا لسبب .

وحدانية الله تعالى

كل واقعية من واقعيات العالم , تعتبر واقعية محدودة , اي انها تتمتع بالوجودعلى وجود ((فرض وجود السبب والشرط)), وتعتبر ايضا وفقا لفرض وتقدير ((فرض عدم السبب والشرط)) عدما, ولحقيقة وجودها حد محدود, اذ لا توجد خارج ذلك الحد, فالله جل شانه هو المنزه عن الحد والمحدودية لان واقعيته مطلقة , فهو موجودباي تقدير, ولم يكن محتاجا لاي سبب وشرط ولا مرتبطا باية علة .
ولا يسعنا ان نفترض عددا لامر غير محدود وغير متناه , فاذا ما افترض ثان ,فانه غير الاول , وفي النتيجة , الاثنان محدودان متناهيان , وسيضع كل منهما حدا فاصلاللاخر, فلو افترضنا على سبيل المثال حجما غير محدود وغير متناه , لايسعنا افتراض حجم آخر ازاه , ولو قدر ان افترضنا هذا فان الثاني هو الاول , فعلى هذا, فان الله تعالى احد لا شريك له .

٣.الذات والصفات

لو نظرنا الى الانسان مثلا من زاوية العقل , سنرى له ذاتا, وهذه الذات هي عين انسانيته الخاصة به , ويمتاز بصفات ايضا, وهذه الصفات التي تعرف كنه ذاته , فمثلا انه ابن لفلان , عالم قادر, طويل , جميل , او صفات اخرى مغايرة .
فبعض هذه الصفات , كالاولى , لا تنفصل عن الذات , وبعضها الاخر, كالعلم مثلا, يمكن ان تنفصل عن الذات او تتغير, وعلى اية حال , فان كلا من هذه الصفات ,ليست بالذات , كما ان كل واحدة منها غير الاخرى .
وهذا الموضوع (الذات مغايرة للصفات , والصفات تختلف فيما بينها) خير دليل على ان الذات التي تتصف بصفة , والصفة التي تعين وتعرف الذات , كلاهما محدودتان ومتناهيتان , لان الذات اذا كانت غير محدودة وغير متناهية , لكانت تشمل الصفات وكذاالصفات كانت كل واحدة منها تشتمل على الاخرى , فتصبح في النتيجة كلها شيئاواحدا, فمثلا لو كانت الذات الانسانية هذه تنحصر في القدرة , وكانت القدرة والعلم وكذاطول القامة , والجمال كل واحدة منها عين الاخرى , لكانت كل هذه المفاهيم لا تعدوالمفهوم الواحد.
يتضح مما سبق , انه لا يمكن اثبات صفة (بالمعنى السابق) لذات الله عزوجل ,لان الصفة لا تتحقق من غير تحديد لها, وذاته المقدسة منزهة من اي تحديد (حتى من هذا التنزيه الذي يعتبر في الحقيقة اثبات صفة له).

٤.معاني صفات الله تعالى

نعلم ان في العالم كثيرا من الكمالات التي تظهر بشكل صفات , فهذه الصفات المثبتة متى ما ظهرت في شي , تسعى في تكامل المتصف , وتمنحه قيمة اكثر, كمايتضح ذلك من مقارنة جسم حي كالانسان مع جسم غير حي كالحجر.
مما لا شك فيه انه هذه الكمالات قد منحها الله تعالى , واذا ما كان هو مفتقدا لهالما منحها (فاقد الشي لا يعطيه), وجعلها تتدرج في طريق الكمال , فعلى هذا يجب ان يقال , وفقا لحكم العقل السليم , ان الخالق , يتصف بالعلم والقدرة وكل كمال واقعي .
وفضلا عن هذا, فان آثار العلم والقدرة وبالتالي آثار الحياة واضحة في نظام الخلقة .
وبما ان ذات الله غير محدودة وغير متناهية , فالكمالات هذه ان اعتبرت صفات له , فانها في الحقيقة عين ذاته , وكذا كل واحدة منها هي عين الاخرى , واماالاختلاف الذي يشاهد بين الذات والصفات , وبين الصفات نفسهافانها تنحصر في المفهوم , وفي الحقيقة ليس هناك سوى مبدا واحد غير قابل للانقسام .
فالاسلام يلزم متبعيه كي لا يقعوا في مثل هذا الاشتباه (المحدودية بالتوصيف ,او نفي اصل الكمال)
ويضعهم بين النفي والاثبات ويامرهم بالاعتقاد بان الله عالم لاكعلم غيره , وله القدرة , وليست كقدرة الاخرين , فهو يسمع لا باذن , ويرى لا بعين ,وهكذا.

٥.مزيد من التوضيح في معاني الصفات

الصفات نوعان : صفات كمال وصفات نقص فالصفات الكمالية ـ كما اشرنا اليها ـ معان اثباتية , تمنح المتصف بها قيمة وجودية اكثر, وآثارا وجودية اوسع , ويتضح ذلك من مقارنة موجود حي عالم قادر, مع موجود آخر غير حي , غير عالم وغير قادر, واماصفات النقص , فهي صفات تغايرها.
عندما نمعن النظر في صفات النقص , نجدها بحسب المعنى منفية , تفتقر الى الكمال , والى نوع من قيم

الوجود, مثل : الجهل والعجز والقبح والسقم وامثالها.
وحسب ما تقدم فان نفي صفات النقص تعني صفات الكمال , كما ان نفي الجهل يعني العلم , ونفي العجز يعني القدرة , ومن هنا نجد القرآن الكريم يثبت كل صفة كمالية لله تعالى بشكل مباشر, وينفي كل صفة نقص عنه , كما في قوله تعالى : ((وهو العليم القدير, وهو الحي , لا تاخذه سنة ولا نوم , واعلموا انكم غير معجزي الله)).
ومما تجدر ملاحظته ان الله تعالى واقعية مطلقة , ليس له حد ونهاية , فعلى هذافان اية صفة كمالية تطلق عليه , لا تعني المحدودية , فانه ليس بمادة وجسم ولا يحددبزمان او مكان , ومنزه من كل صفة حالية حادثة , وكل صفة تثبت له حقيقة فهي بعيدة عن المحدودية وهو القائل : ((ليس كمثله شي)).

٦.صفات الفعل

فالصفات (فضلا عما سبق) تنقسم انقساما آخر, وهي صفات الذات وصفات الفعل .
فالصفة احيانا تكون قائمة بالموصوف , مثل الحياة والعلم والقدرة , فتتحقق هذه في الانسان الحي القادر, ونستطيع ان نفترض انسانا متصفا بهذه الصفات , فلو لم نفترض غيره , نرى تارة انه لا يتحقق بالموصوف فحسب , فاذا اراد الموصوف ان يتصف بصفة فلابد من تحقق شي آخر, مثل الكتابة , الخطابة , الطلب , ونظائرها, لان الانسان انمايستطيع الكتابة عندما يتوفر لديه القلم والدواة والورق مثلا, ويستطيع ان يكون خطيباعند تحقق مستمع , و يستطيع ان يكون طالبا عندما يتوفر المطلوب , ولا يكفي ان نفترض للانسان تحقق هذه الصفات .
من هنا يتضح ان الصفات الحقيقية لله تعالى (كما سبقت الاشارة اليه عين الذات) هي من النوع الاول واما النوع الثاني , والذي يستلزم تحققه لشي آخر, فان كل شي غيره مخلوق له , ويأتي بعده في مرحلة الوجود, وكل صفة يوجدها مع وجوده , لايمكن ان تعتبر صفة لذاته او عين ذاته تعالى .
فالصفات التي يتصف بها تعالى عن تحقق الخلقة , هي الخالقية , الربانية ,المحيي , والمميت , والرازق , وامثالها, لم تكن عين ذاته , بل زائدة على الذات وصفات للفعل .
والمقصود من صفات الفعل هو ان تتخذ معنى الصفة من الفعل لا من الذات , مثل الخالقية , اي يتصف بهذه الصفة بعد تحقق الخلقة للمخلوقات , فهو قائم منذ قيامها (اي موجود منذ وجودها), ولا علاقة لها بذاته تعالى , كي تتغير من حال الى حال عند تحقق الصفة .
تعتبر الشيعة صفتي الارادة والكلام , والذي يفهم من معنى اللفظ (الارادة بمعنى الطلب , والكلام بمعنى الكشف اللفظي عن المعنى) من صفات الفعل والغالبية من اهل السنة يعتبرونها بمعنى العلم , وصفات لذاته تعالى .

٧.القضا والقدر

ان قانون العلية في الكون , سار ومهيمن , بحيث لا يقبل الاستثنا, ووفقا لهذاالقانون فان كل مظهر من مظاهر هذا العالم , يرتبط بعلل عند وجودها, (الاسباب والشروط اللازمة للتحقق), ومع توفر كل تلك الشروط (والتي تدعى العلة التامة)يتحتم وجود تلك الظاهرة (المعلول المفروض) ولو فرضنا عدم تحقق تلك الاسباب كلها او بعضها, فانه يستحيل تحقق وجود تلك الظاهرة .
مع الامعان في هذه النظرية , يتضح لنا موضوعان :
الاول : لو قدر ان نقارن بين ظاهرة ((المعلول)) مع العلة التامة باجمعها, وكذلك مع الاجزا لتلك العلة التامة , تكون النسبة بينها وبين العلة التامة , نسبة الضرورة (الجبر)ولكانت النسبة بينها وبين كل من اجزا العلة التامة (والتي تعتبر علة ناقصة) نسبة الامكان , لان جز العلة بالنسبة الى المعلول يعطي امكان التحقق والوجود, ولا يعطي ضرورة الوجود.
على هذا فالكون وجز من اجزائه يستلزم علة تامة في تحقق وجوده ,والضرورة مهيمنة عليها باسرها, وقد نظم هيكلها من مجموعة حوادث ضرورية وقطعية ,فمع الوصف هذا, فان صفة الامكان في اجزائها (الظواهر التي ترتبط مع غير العلة التامة لها) محفوظة .
فالقرآن الكريم في بيانه يسمي هذا الحكم الضروري بالقضا الالهي , لان الضرورة هذه تنبع ن وجود الخالق , ولهذا يكون حكما وقضا عادلا حتميا غير قابل للتخلف , اذ لا يقبل الاستثنا او التبعيض .
ويقول جل شانه : ((الاله الخلق والامر)).
ويقول : ((والله يحكم لا معقب لحكمه)).

الثاني : ان كلا من اجزا العلة , لها مقدارها الخاص بها تمنحها الى المعلول ,وتحقق المعلول وظهوره يطابق مجموع المقادير التي تعينها العلة التامة , فمثلا العلل التي تحقق التنفس للانسان , لا تحقق التنفس المطلق , بل يتنفس الانسان مقدارا معينا من الهوا المجاور لفمه وانفه , وفي زمان ومكان معينين , ووفق طريقة معينة , ويتم ذلك عن طريق مجرى التنفس , حيث يصل الهوا الى الرئتين , وهكذا الرؤية والابصار, فان العلل الموجدة لها في الانسان (والذي هو جز منها) لم تحقق ابصارا من دون قيد اوشرط, بل تحقق ابصارا معينا من كل جهة , بواسطة الوسائل اللازمة له , وهذه الحقيقة سارية في كل ظواهر الطبيعة , والحوادث التي تتفق فيها لا تتخلف .
والقرآن الكريم يسمي هذه الحقيقة ب((القدر)) وينسبها الى خالق الكون ومصدرالوجود, بقوله تعالى : ((انا كل شي خلقناه بقدر)).
ويقول : ((وان من شي الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم)).
وكما ان كل ظاهرة وحادثة في نظم الخلقة تعتبر ضرورية الوجود وفقا للقضاالالهي , ويتحتم وجوده , فكذلك وفقا للقدر فان كل ظاهرة او حادثة عند تحققها لاتتخلف عن المقدار المعين لها من قبل الله تعالى .

٨.الانسان والاختيار

كل ما يقوم به الانسان من فعل , يعتبر ظاهرة من ظواهر عالم الخلقة , ويرتبطتحققه كسائر الظواهر بالعلة ارتباطا كاملا, وبما ان الانسان هو جز من عالم الخلقة ,ويرتبط مع سائر الاجزا الاخرى من العالم , فانها بدورها تؤثر في افعال الانسان .
وعلى سبيل المثال , فان قطعة الخبز التي يريد الانسان تناولها, يستلزم الوسائل كاليد والفم والعلم والقدرة والارادة , ويستلزم ايضا وجود الخبز في الخارج , وفي متناول يده , وعدم المانع والحاجز, وشروط اخرى , من زمان او مكان , ومع فقدان احداها يتعذر تحقق الفعل , ومع تحقق كل تلك العوامل (تحقق العلة التامة) فان تحقق الفعل ضروري .
وكما اشرنا آنفا, فان ضرورة الفعل بالنسبة الى مجموع اجزا العلة التامة تعتبرنسبة امكان , ولا يتنافى مع نسبة الفعل الى الانسان الذي هو احد اجزا العلة التامة .
ان الانسان له اختيار الفعل , وضرورة نسبة الفعل الى مجموع اجزا العلة , لايستلزم الضرورة بالنسبة الى فعل بعض من اجزائها وهو الانسان .
والادراك البسيط للانسان يؤيد هذا القول , فاننا نراه يميز بحكم الفطرة الالهية المودعة لديه , يمى ز بين الاكل والشرب , والذهاب والاياب , وبين الصحة والسقم ,والكبير والصغير, والقسم الاول الذي يرتبط بارادة الانسان ارتباطا مباشرا, يعتبر من ارادة الشخص , فيحاسب في مواضع الامر والنهي والمدح والذم , خلافا للقسم الثاني ,الذي يترتب فيه تكليف على الانسان .
كان في صدر الاسلام , لاهل السنة , مذهبان معروفان بالنسبة الى افعال الانسان ,ففريق كان يرى ان افعال الانسان متعلقة بارادة الله تعالى لا تخلف فيها, فكان يدعي ان الانسان مجبور في افعاله , ولا اثر لما يمتاز به من اختيار وارادة , والفريق الاخر,كان يدعي ان الانسان مستقل في افعاله , وليس له ارتباط بارادة الله سبحانه , ويعتبرونه خارجا عن حكم القدر.
ومما يروى عن اهل البيت (ع): وهو مطابق مع ظاهر تعاليم القرآن , ان الانسان مختار في افعاله , ليس بمستقل , اذ ان الله تعالى قد اراد الفعل عن طريق الاختيار, وهذاما عبرنا عنه سابقا, ان الله سبحانه , اراد الفعل عن طريق مجموع اجزا العلة التامة ,والتي احداها ارادة الانسان , واصبحت ضرورة , وفي النتيجة , ان مثل هذا الفعل الذي يرتبط بارادة الله تعالى ضروري , والانسان ايضا مختار فيه , اي ان الفعل يعتبر ضروريابالنسبة الى مجموع اجزا علته , ولكنه اختيار وممكن بالنسبة الى احد اجزائه وهوالانسان .
والامام السادس (ع), يقول : ((لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين)).

معرفة النبي (ص):

١.نحو الهدف ـ الهداية العامة

تبدا حبة الحنطة بالنمو عند توفر العوامل المساعدة لها, بعد ان توضع فى التربة ,وبمرور الزمن تتحول من حالة الى اخرى , وفي كل لحظة تتخذ حالة وشكلا غير ماكانت عليهما قبل لحظات , وتسلك طريقا وفقا لنظام خاص , حتى تزداد نموا, فتصبح سنبلة , واذا ما سقطت حبة قمح على الارض , سلكت الطريق ذاته , حتى تصل النهاية وهكذا, واذا ما سقطت بذرة فاكهة على الارض , تبتدي بالحركة والنمو فيخترق الغشائتؤ

اخضر, ويسلك طريقا خاصا منتظما, حتى يزداد في نموه ويصبح شجرة مثمرة .
واذا ما استقرت نطفة حيوان في بيضة او في رحم ام , تشرع بالنمو والتكامل ,وتسلك سلوكا, تختص به تلك النطفة لذلك الحيوان , حتى تصل الى فرد كامل من ذلك النوع .
ان هذا السلوك الخاص والمنتظم يشاهد في كل من انواع الكائنات الحية في العالم , ويعتبر من مميزاتها وفطرتها الخاصة , ولن تجد في الحياة , نقيضا لهذه السنة , اي يستحيل ان تتبدل حبة قمح الى حيوان , ولا نطفة حيوان الى شجرة , واذا ما حدث تغييرفي تكوين حيوان او نبات بان ينقصها عضو او جز فان السبب في ذلك يعود الى مرض او ما شابه .
ان النظام القائم والمستمر فى الكون , وخلقة الاجسام المتنوعة , واختصاص كل نوع منها في سلوك خاص , نحو التطور والتكامل , يحتاج الى نظام خاص به , لا ينكره اي محقق متتبع , ومن هذه النظرية البى نة نستنتج موضوعين :
١) ان في جميع المراحل التي يطويها نوع من انواع الكائنات الحية في العالم ,اتصالا وارتباطا قائما بينها, وكان هناك قوة تسيرها هذا المسير الخاص في كل مراحلهاالتطورية .
٢) ان هذا الاتصال والارتباط المتتالي يهدف في مرحلته الاخيرة الى تكوين بني نوعه , فكما ان البذرة عندما توضع في التربة تهدف في طريقها منذ مراحلها الى ان تنشا شجرة , وكذا النطفة في رحم الام , تهدف من مراحلها الاولية الى ان تكون حيوانامتكاملا, وللوصول الى التكامل نراها تسلك نهجا خاصا في حياتها.
والقرآن العظيم في تعليماته يؤيد هذه الحركة وهذا الاندفاع , كما ان انواع الكائنات الحية في العالم تهتدي بهدى الله تعالى في طريق تكاملها وكمالها, ويستدل بيات من الذكر الحكيم في هذا الشان كما في قوله تعالى : ((الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى)).
وفي سورة الاعلى , الاية ٢ و٣ يقول جل ذكره : ((الذي خلق فسوى والذي قدرفهدى)).
وكذا يشير الى النتائج التي ذكرت آنفا في سورة البقرة الاية ١٤٨: يقول جل شانه : ((ولكل وجهة هو موليها)).
ويقول جل من قائل في سورة الدخان الاية ٣٨ و٣٩ ((وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون)).

٢.الهداية الخاصة

بديهي ان النوع الانساني لا يستثنى عن هذه الهداية التكوينية التي تهيمن على جميع الكائنات في العالم , انها تسيطر على الانسان ايضا, وبما ان كل كائن يستمر في طريقه نحو التكامل بما لديه من قدرة وقابلية , فكذلك الانسان يساق نحو الكمال الواقعي بواسطة الهداية التكوينية .
قد يشترك الانسان في كثير من صفاته ومميزاته مع سائر انواع الكائنات الحية من حيوان او نبات , لكنه يتميز بخصيصة خاصة به , تجعله يمتاز عن غيره , الا وهو العقل .
فالعقل يدعو الانسان الى التفكر والتدبر, وان ينتفع من كل وسيلة ممكنة ,لتحقق اهدافه واغراضه , فهو يعرج الى السما حينا, فيسير في الفضا اللامتناهي ,ويغوص في اعماق البحار احيانا, فهو يداب في استثمار انواع الحيوان والنبات والجمادعلى ظهر البسيطة , وقد يتجاوز هذا الحد بان يتجه الى استثمار بني نوعه .
والانسان حسب طبعه الاولي , يرى حريته المطلقة في سعادته وكماله , وبما ان وجوده وجود اجتماعي , ومتطلباته في الحياة متعددة , والتي لاينالها لوحده وبنفسه فحسب , بل بالتعاون مع ابنا نوعه وهم يتصفون بالغرائز ذاتها, بما فيها حب الذات والحرية , اذ تفرض عليه طبيعة المجتمع ان يضحي بقسط من حريته في هذا السبيل قبال المنافع التي يحصل عليها من الاخرين , فهو يقدم خدمة , وينتفع بما يقدمه الاخرون من خدمات , اي انه يتقبل الحياة الاجتماعية التي تتصف بالتعاون , باكراه وفرض .
وهذه الحقيقة تظهر جلية لدى الاطفال والفتيان , اذ انهم في البداية , يحققون ماتصبو اليه نفوسهم بالفرض تارة والبكا تارة اخرى فهم يرفضون كل قانون او عادة او ماشاكل ذلك , ولكن على مر الزمان , وحسب تطورهم الفكري يدركون ان الحياة لا تتلائم مع الفرض والطغيان , فيمارسون ما يمارسه الفرد في المجتمع بشكل تدريجي , حتى يصلوا الى ما يصل اليه الفرد في مجتمعه , من اتباع العادات والسنن والقانون , وبالتالي يصبحون وهم يالفون المجتمع .
والانسان بعد تقبله الحياة الاجتماعية التي قوامها التعاون , يرى ضرورة القانون الحاكم على الحياة , وهو الذي يعين واجبات كل فرد من افراد المجتمع , ويضع الجزالكل من يخالف القانون , فاذا عم القانون وساد المجتمع , عندئذ ينال كل من افرادالمجتمع السعادة المطلوبة , التي طالما تمناها.
هذا القانون هو القانون العملي الذي ما برح البشر منذ نشاته والى يومنا هذايرجوه ويرغب في الوصول اليه , وطالما كان يستهل به اهدافه واغراضه , ويسعى في تحققه , ومن الطبيعي اذا كان الامر يستحيل تحققه

على البشرية , ولم يكن مفروضاعليها, لما كانت تهدف اليه دوما.
والله جل شانه يشير الى حقيقة المجتمع البشري بقوله : ((نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا)).
وقد اشار الذكر الحكيم الى حب النفس والانانية بقوله تعالى : ((ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا)).

٣.العقل والقانون

لو تاملنا جيدا, لراينا ان القانون الذي ما برح البشر ينتظره , والناس مع مالديهم من ادراك فطري الهي , ويدركون لزوم اجرائه كي يضمن لهم سعادتهم , هو القانون الذي يستطيع ان يسير البشرية الى السعادة دون انحياز او تبعيض وان ينشر بينها الكمال ,ويرسي قواعده ومن الديهي لم تدرك البشرية حتى الان طوال اجيال متعاقبة مضت من حياة البشرية , مثل هذا القانون الذي قوامه العقل , ولو قدر ان يصدر الى حيز الوجودلفهمته البشرية في حياتها الطويلة بما تمتاز به من تعقل وتدبر, وكانت تلتزم به في مجتمعاتها.
وبعبارة اوضح , لو كان هناك قانون كامل عام , بحيث يستجيب لما تصبوا اليه البشرية من سعادة , ويرشد البشرية من حيث الفطرة والتكوين , لادركه كل انسان بمالديه من امكانات عقلية , كما يدرك ما ينفعه او يضره , وكذا سائر الضروريات في حياته ,ولكن لم يتحقق مثل هذا القانون بعد والقوانين التي توضع من قبل شخص حاكم اواشخاص , او جوامع بشرية , نجدها مورد احترام وتصديق لدى فئة , ومورد رفض واعتراض لدى آخرين وهناك من اطلع عليها وعرفها, وآخرون لم يطلعوا, ولن تجدوجه اشتراك في المجتمعات البشرية - بما انهم يشتركون في كونهم بشر, وانهم يتصفون بالفطرة الالهية - في ادراك هذه القوانين .

٤.الشعور المرموز, او ما يسمى ب(الوحي)

ومما تقدم يتضح , ان القانون الذي يضمن السعادة للبشرية , لا يدركه العقل ,وبمقتضى نظرية الهداية العامة , التي ترى ضرورة هذا الادراك في النوع البشري ,لابدمن وجود جهاز اخر بين النوع الانساني يدرك ذلك , كي يرشده الى الواجبات الواقعية للحياة , وتكون في متناول يد الجميع , وهذا العور والادراك هو غير العقل والحس , انه ما يسمى ب((الوحي)) ومن الطبيعي ان وجود مثل هذه القوة في البشر لايتحتم ان يكون في جميع افراد البشر, كما هو في القوة المودعة في الانسان للتناسل ,في حين ان ادراك لذة الزواج , والتاهب له , يتحقق في الافراد عند بلوغهم , وشعور((الوحي)) الذي لايظهر لدى الافراد, هو شعور مرموز, كما هو الحال في ادراك وشعوراللذة في الزواج عند من لم يصل الى سن البلوغ , فيبقى هذا الادراك غير معروف لديه .
والله تعالى يشير في خطابه عن (الوحي) بالنسبة الى الشريعة وعجز العقل ,بقوله : ((انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده)) ((رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)).

٥.الانبيا وعصمة النبوة

ان ظهور الانبيا يؤيد نظرية (الوحي) التي سبق ذكرها ان انبيا الله تعالى كانوامن ادعوا ((الوحي)) والنبوة , وفي ادعائهم هذا اقاموا الحجج والبراهين , وبلغوا الناس ماتحتويه شريعة الله سبحانه , الا وهو القانون الذي يمنحهم السعادة وجعلوه في متناول ايدي الجميع , ولما كان الانبيا يمتازون ب((الوحي)) والنبوة , فعند ظهورهم في كل زمن كانوا قلة , فجعل الله هداية الناس على عاتق هؤلا, بما امروا من دعوة وابلاغ , وما ذلك الا لتعم وتتم وتكتمل تلك الدعوة .
ومن هنا يتضح وجوب عصمة الانبيا, فهم مصونون من الخطا في تلقي ((الوحي)) من جانب الله تعالى , وفي حفظه وايصاله الى الناس , فانهم بعيدون كل البعدعن المعصية والخطا, لان تلقي الوحي - كما ذكر - وحفظه وابلاغه , يشتمل على الاركان الثلاثة للهداية التكوينية , ولا معنى بان يكون هناك خطا في التكوين .
فضلا عن ان المعصية والتخلف عن ادا الدعوة والابلاغ , عمل يخالف الدعوة ,ويوجب سلب ثقة الناس واطمئنانهم , بصحة الدعوة وصدقها, ونتيجة لذلك ينتفي الغرض والهدف الاساسي للدعوة .
والخالق جل شانه يشير الى عصمة الانبيا في كتابه المجيد بقوله : ((واجتبيناهم وهديناهم الى صراط

مستقيم)).
وهو القائل ايضا: ((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا, ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم)).

٦.الانبيا والشرائع السماوية

ان ما حصل عليه الانبيا عن طريق (الوحي) وابلاغهم الناس على سبيل الخبروالاحكام الالهية هو الدين , وباتخاذه نهجا لهم في سبيل الحياة والوظائف والواجبات الانسانية , يضمن لهم السعادة .

يشتمل التشريع الالهي بشكل عام على جانبين : الاعتقادي والعملي : فالجانب الاعتقادي يحتوي على مجموعة معتقدات اساسية , تفرض على الانسان ان يتخذهااساسا لحياته , وهي الاسس العامة الثلاثة : التوحيد والنبوة والمعاد, واذا اهمل احدها لم يتحقق اتباع الدين .
والجانب العملي , يتالف من مجموعة وظائف اخلاقية عملية تحتوي على وظائف معينة يتقيد بها الانسان امام الله تعالى وامام المجتمعات البشرية .
ومن هنا تنقسم الواجبات الفرعية في الشرائع السماوية , والتي نظمت للانسان على قسمين : الاخلاق والاعمال , وكل من هاتين , تنقسم الى قسمين ايضا.
فاما الاخلاق والاعمال التي ترتبط بالله الخالق فهي , الخلق وصفة اليمان والاخلاص والتسليم والرضى , والخشوع , وكذا الصلاة والصوم والفدية وغيرها, وهذه المجموعة من الاعمال تسمى العبادات , وتعبر عن خشوع الانسان وعبوديته لربه .
واما ما يتعلق بالمجتمع من الاخلاق والاعمال , فهي الصفات الحسنة ,كحب النوع , والمساعدة , والعدالة , والسخا وما يرتبط بداب المعاشرة , والمعاملة وغيرها, وهذه الاعمال الخاصة هي ما تسم ى ب((المعاملات)).
ومن جهة اخرى فان النوع الانساني يتجه نحو الكمال بصورة تدريجية ,والمجتمع البشري يتكامل بمرور الزمان , وان ظهور هذا النسخ من التكامل ضروري في الشرائع السماوية , ويؤيد القرآن الكريم هذا التكامل التدريجي (اذ يمكن الوصول اليه عن طريق العقل), ومما يستفاد من آياته , ان الشرائع اللاحقة اكمل من الشرائع السابقة , بقوله تعالى : ((وانزلنا عليك الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناعليه)).
ومما تبينه النظريات العلمية , ويصرح به القرآن الكريم , ان حياة المجتمعات البشرية في هذا العالم ليست ابدية , ومن الطبيعي ان التكامل لبني نوعها لم يكن غيرمتناه , فمن هذه الجهة , ستتوقف جميع الوظائف الانسانية من حيث الاعتقاد والعمل في مرحلة معينة , وتبعا لهذه الحقيقة , فان النبوة والشريعة ايضا يوما ما ستصل الى آخرمرحلة من مراحل الكمال والاعتقاد, وبث القوانين العملية , وبذلك تكون النهاية والخاتمة لها.
ومن هنا نرى ان القرآن الكريم يوضح هذه الحقيقة ويصرح بان الاسلام , الدين الذي اختاره لمحمد (ص) هو آخر الاديان السماوية واكملها, والكتاب العزيز لاينسخ ,والنبي الاكرم (ص) هو خاتم الانبيا, والاسلام يحتوي على جميع الوظائف والواجبات , كما في قوله تعالى : ((وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)).
ويقول ايضا: ((ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)).
وقوله تعالى : ((ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ)).

٧.الانبيا ودليل (الوحي) والنبوة

ان الكثير من علما اليوم الذين حققوا فى موضوع (الوحي) والنبوة , قد فسرواموضوع (الوحي) والنبوة والامور المرتبطة بهما, على الاسس التي يقوم عليها علم النفس وعلم الاجتماع , بقولهم ان الانبيا كانوا اناسا اطهارا, ذوي همم عالية , محبي البشرية , ولغرض تقدمها وتطورها من الناحية المادية والمعنوية , وكذا تزكية المجتمعات المنحطة خلقيا, نظموا ووضعوا قوانين خاصة , ودعوا الناس اليها, ولما كان الناس في ذلك الوقت لم يخضعوا امام المنطق والعقل , فما كان منهم الا ان ينسبوا افكارهم وانظمتهم الى العالم العلوي كي يستطيعوا بذلك ان يجلبوا رضى الناس , ويخضعوهم لقيادتهم وكان اعتقاد بعض ان روحهم هي روح القدس , وما الفكر الذي يتجلى الا((الوحي والنبوة)) وما الوظائف والواجبات التي تستنتج من ذلك الا (الشريعة السماوية), والكلام الذي يتضمن ذلك كان يسمى ((الكتاب السماوي)).
فالذي ينظر بتامل وانصاف الى الكتب السماوية , وخاصة القرآن الكريم , وكذاالى الشرائع التي جا بها الانبيا, لايشك في بطلان هذه النظرية , وذلك ان الانبيا لم يكونوا رجال سياسة , بل كانوا رجالا يتصفون بالصدق والصفا والخلوص , وكلما كانوايدركونه يتفوهون به , وكلما كانوا يقولون به كانوا يعملون به , وكلما كانوا يزعمونه هو ان هناك شعورا مرموزا, وامدادا غيبيا, يفيض عليهم , وانهم عن هذا الطريق يتلقون الوظائف الاعتقادية والعلمية من جانب الله تعالى , لالاغ الناس وارشادهم .
ومن هنا يتضح ان ادعا النبوة يحتاج الى حجة ودليل , ولا يكفي ان تكون الشريعة التي جا بها النبي توافق العقل , فان صحة الشريعة لها طريق آخر للاثبات ,وهو انه على اتصال بالعالم العلوي (الوحي) والنبوة , وقد انيطت به هذه المسؤولية من قبل الله تعالى , وهذا الادعا يفتقد الى دليل عند اقامته .
وعلى هذا, نجد ان السذج من الناس (كما يخبر به القرآن الكريم) كانوا يطالبون الانبيا بالمعجزة لصدق دعواهم .
ويستنتج من هذا المنطق الساذج والصحيح هو ان (الوحي) والنبوة , اللذين يدعيهما المرسل , لم يكونا

ليحصلا في سائر الناس , والذين هم مثله , ولابد من قوة غيبية قد اودعها الله تعالى نبيه بنحو يخرق العادة به , والتي بواسطتها يصغى الى كلام الله تعالى , ويوصلها الى الناس وفقا لمسؤوليته , واذا كان هذا المعجز صحيحا, فالرسول يريد من الله تعالى ان يعينه على معجز آخر, كي يصدق الناس نبوته ومدعاه .
ويتضح ان مطالبة الناس الانبيا بالمعجزة امر يوافق المنطق الصحيح , وعلى الانبيا لاثبات نبوتهم ان ياتوا بالمعجزة اما ابتدا او وفقا لما يطالب به المجتمع .
والقرآن الكريم يؤيد هذا المنطق , ويشير الى معاجز الانبيا اما ابتدا او بعدمطالبة الناس اياهم .
وتجدر الاشارة الى ان الكثير من المحققين مع انهم لم ينكروا المعجزة (خرق العادة), الا ان كلامهم لم يكن مدعما بدليل , وهو ان العلل والاسباب للحوادث التي حصلنا عليها حتى الان كانت بالتجربة والفحص , وليس ادينا اي دليل انها دائمية , ولن تتحقق اية حادثة او ظاهرة الا بعللها واسبابها, واما المعاجز التي تنسب الى الانبيا لم تكن مخالفة للعقل او يستحيل اقامتها (كزوجية العدد ٣), لكنها خرق للعادة في حين ان موضوع خرق العادة يرى ويسمع من المرتاضين ايضا.

٨.عدد الانبيا

مما ينقل فيى تاريخ الماضين , ان انبيا كثيرين ارسلوا وبعثوا, ويؤيد القرآن الكريم كثرة الانبيا, ويذكر اسما بعضهم , الا انه لم يصرح بعددهم .
ولم نحصل عى عددهم من الروايات بصورة قطعية , الا ان الرواية المعروفة والتي تنقل عن ((ابي ذر الغفاري)) عن النبي الاكرم (ص), يبين فيها ان عدد الانبيا مائة واربعة وعشرون الف نبي .

٩.الانبيا اولوالعزم , حملة الشرائع السماوية

ومما يستفاد من القرآن الكريم , ان الانبيا كلهم لم ياتوا بشرائع , بل ان خمسة منهم قد جاوا بشرائع سماوية , وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص),وهؤلا هم اولوالعزم , واما سائر الانبيا فانهم يتبعون اولي العزم في شرائعهم .
وقوله تعالى :
((شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى)) .
ويقول تعالى :
((واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا)).

١٠.نبوة محمد (ص)

يعتبر نبينا محمد (ص) آخر الانبيا, الذين كانوا يمتازون بالكتب والشرائع ,وقد آمن به المسلمون .
ولد النبي محمد (ص) قبل بد التاريخ الهجري القمري بثلاث وخمسين سنة ,في مدينة ((مكة)) من مدن الحجاز, في قبيلة ((بني هاشم)) من قريش , والتي هي من اشرف القبائل العربية .
ابوه ((عبدالله)) وامه ((آمنة)) وقد فقد ابويه منذ اوائل طفولته , وتكفله جده لابيه ((عبدالمطلب)) الذي سرعان ما وافاه الاجل , حتى تعهد تربيته عمه ((ابوطالب)) واسكنه معه في داره .
ترعرع ونشا في بيت عمه , وقد صحب عمه في سفرة تجارية الى الشام وذلك قبل سن البلوغ كان النبي محمد (ص) اميا, ولكنه بعد البلوغ والرشد, اشتهر بعقله وادبه وامانته , ونتيجة لذلك , جعلته (خديجة) والتي كانت من اثرى القريشيات , مشرفا على اموالها, وادارة امورها التجارية .
سافر محمد (ص) للمرة الثانية الى الشام لغرض التجارة , واثر نبوغه فقد نال ارباحا جمة , ولم تمض فترة , حتى اقترحت خديجة عليه موضوع الزواج , وافق محمد(ص) على اقتراحها, وبعد الزواج حيث كان في سن الخامسة والعشرين وحتى بلوغه سن الاربعين , كان يمارس عمله , فحصل على شهرة في تدبيره وامانته ولم يكن يعبدصنما, (علما بان الدين السائد في ذلك الوقت هو عبادة الاصنام) واحيانا كان يعتكف للعبادة .
فاختاره الله للنبوة في الاربعين من عمره عندما كان متفرغا للعبادة في غار((حرا)) وامر ان يبلغ , ونزلت عليه اول سورة من سور القرآن , ورجع الى بيته في اليوم نفسه , فراى ابن عمه ((علي بن ابي طالب عليه

السلام)) في الطريق , فعرض عليه الاسلام فمن به , وبعد دخوله البيت , اسلمت زوجته خديجة .
وقد واجه النبي (ص) عند بد دعوته , من الناس مواجهة عنيفة مؤلمة , حتى اضطر الى كتمان دعوته وجعلها سرية , ثم امر ثانية ان يبلغ دعوته عشيرته الاقربين ,ولكنها لم تجد, اذ لم يؤمن به سوى ((علي بن ابي طالب)) (ع).
وبعد ذلك , اعلن النبي (ص) دعوته بامر من الله تعالى , وما ان اعلن النبي الدعوة حتى شاهد ردود الفعل من اهل مكة مقرونة بالاذى والتعذيب بالنسبة له وللمسلمين الذين اسلموا حديثا, مما اضطر بعض المسلمين الى ترك ديارهم اثرالاضطهادات التي كانت تقوم بها قريش , فهاجروا الى الحبشة , و تحصن النبي الكريم (ص) مع عمه ((ابو طالب)) وافراد من قبيلته بني هاشم في ((شعب ابي طالب)) لمدة ثلاث سنين , في غاية من الضغط والشدة , فلم يعاملهم احد, ولم يعاشرهم , ولم يستطيعواالخروج من الشعب .
ولم ينته كفار مكة وعبدة اصنامها, من الايذا والاهانة والاستهزا بكل انواعهاتجاههم , وكانوا يلتجئون احيانا عن طريق المسالمة , والوعد بالاموال الطائلة كي يصرفوا النبي (ص) عن دعوته , وقد اقترحوا عليه الرئاسة والسلطان احيانا اخر, وكان وعدهم ووعيدهم سيان عند النبي (ص), وكان ذلك مما يزيد في عزمه وارادته .
وقد اقترحوا عليه مرة المال الكثير والرئاسة , فاجابهم النبي قائلا: ((والله لووضعوا الشمس في يميني , والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله ,او اهلك فيه , ما تركته)).
خرج النبي من ((شعب ابي طالب)) حوالي السنة العاشرة من بعثته ولم يمض زمن حتى توفي عمه ابوطالب , وتوفيت زوجته الوفية ايضا.
فلم يكن للنبي (ص) ملجا, مما دعا كفار مكة الى ان يخططوا لقتله , فحاصروا داره من كل جانب , كي يحملوا عليه في آخر الليل , ويقطعوه اربا اربا في مضجعه .
ولكن الله جل شانه اطلعه بالامر, وامره بالهجرة الى ((يثرب)) فاستخلف عليا(ع) في فراشه , خرج ليلا برعاية الله وعنايته من داره واجتاز الاعدا, واختفى في غاريبعد عدة فراسخ عن مكة المكرمة , وخرج من الغار بعد ثلاثة ايام , بعد ان يئس الاعدامن الوصول اليه , وبعد ان بحثوا ونقبوا في تلك المنطقة وحواليها, فعادوا الى مكة يائسين , عندئذ اخذ النبي (ص) يتابع طريقه الى (يثرب) .
اما اهل ((يثرب)) فقد آمنوا به كبارهم واسيادهم , وبايعوه , فاستقبلوه بحفاوة بالغة , وقدموا له اموالهم وانفسهم .
فاسس الرسول (ص) ولاول مرة , اول مجتمع اسلامي صغير, في مدينة (يثرب)وعقد مع الطوائف اليهودية التي كانت تستقر في المدينة واطرافها معاهدات , وكذا مع القبائل العربية القوية لتلك المنطقة , وقام بنشر دعوته الاسلامية , وعرفت مدينة ((يثرب))ب((مدينة الرسول)).
وعلى مر الايام , قويت شوكة الاسلام , واستطاع المسلمون الذين كانوا يعيشون في اضطهاد من القرشيين ان يتركوا دورهم وسكناهم في مكة , مهاجرين الى المدينة شيئا فشيئا, والتفوا حول النبي الاكرم (ص), وسموا ب((المهاجرين)) كما اشتهر اصحابه واعوانه من يثرب ب((الانصار)).
نال الاسلام تقدما سريعا, لكن عبدة الاصنام من قريش , والطوائف اليهودية المستقرة في الحجاز, لا يزالون حجر عثرة امام هذه الحركة , فحاولوا القيام باعمال تخريبية لصد النبي والمسلمين , وذلك بمساعدة المنافقين , الذين كانوا في صفوف المسلمين , ولم يعرفوا باي شكل من الاشكال , فكانوا يخلقون المشاكل , ويسببون المصائب , والحوادث المستحدثة , حتى آل الامر الى الحرب , فنشبت الحروب المتعددة بين الاسلام و عبدة الاصنام و اليهود, فكانت الغلبة غالبا لجيش الاسلام ,يقرب احصا تلك الحروب من ثمانين ونيف معركة بما فيها المعارك الدامية الكبرى ,والصغيرة منها, وفي كل هذه المعارك , كان النبي (ص) يشارك المسلمين في قتالهم ,كمعركة بدر واحد والخندق وخيبر وغيرها, وكانت الغلبة في معظمها تتم على يد ((علي (ع)))
والامام علي (ع) هو الوحيد الذي ما تراجع ولا فشل في اي منها, وطوال هذه المعارك التي دامت عشر سنوات بعد الهجرة النبوية , قتل من المسلمين اقل من مائتين ,ومن الكفار ما يقرب الالف ونتيجة المثابرة والتضحية والفدا الذي عرف به المهاجرون والانصار خلال السنوات العشر بعد الهجرة , عم الاسلام (شبه الجزيرة العربية) وحررت الرسائل الى ملوك الدول الاخرى مثل ((ايران)) و (الروم) و (مصر) و (الحبشة) تدعوهم الى الاسلام .
كان النبي (ص) يواسي الفقرا في معيشتهم , فلا تختلف حياته عن حياتهم ,وكان يفتخر بالفقر, وكان يستغل اوقاته , لا تمر لحظة الا وهو دائب في عمل , وكان (ص)مقسما اوقاته الى ثلاثة اقسام : الاول للعبادة وذكر الله تعالى , الثاني : له ولعياله وبيته ,الثالث : للناس , فكان يسعى في نشر المعارف الاسلامية وتعليمها وما يتعلق بشؤون المجتمع الاسلامي , وتصحيح الاهداف والسبل التي تؤدي اليه , وكذا السعي في رفع حوائج المسلمين , وتحكيم العلاقات الداخلية والخارجية , وسائر الامور المرتبطة بها.
وبعد اقامته (ص) عشر سنوات في المدينة , فارق الدنيا اثر سم دس في طعامه على يد امراة يهودية , طرحه في الفراش اياما, ومما جا في الروايات ان آخر ما تكلم به النبي (ص), وصيته في العبيد والنسا.

١١.النبي الاكرم (ص) والقرآن

كان الناس يطالبون النبي (ص) بالمعجزة , كما كانوا يطالبون سائر الانبيا فكان (ص) يؤيد المعاجز لدى الانبيا, والقرآن الكريم يصرح بذلك .
تذكر للنبي (ص) معاجز كثيرة , الا ان بعضا منها لا تتصف بالقطعية في روايتها,ولم تكن مورد قبول واعتماد, ولكن المعجزة الباقية له (ص) والتي لا تزال حية هي ((القرآن الكريم)) كتابه السماوي فالقرآن الكريم كتاب سماوي يشتمل على ستة آلاف ونيف آية , وينقسم الى مائة واربع عشرة سورة بما فيها المطولة والقصيرة .
نزلت الايات القرآنية الكريمة بصورة تدريجية خلال ايام بعثته ودعوته (ص)طوال ثلاث وعشرين سنة , وكانت (توحي) اليه (ص) بصور مختلفة , من سورة او آية اواقل من آية , وفي اوقات متفاوتة , في ليل او نهار, في سفر او حضر, في الحرب او السلم ,وفي ايام شدة او رخا.
والقرآن الكريم في آيات عدة , يصرح تصريحا, بانه معجزة وقد تحدى العرب في ذلك اليوم , مع ما كانت من القمة من الفصاحة والبلاغة , هذا ما يشهد به التاريخ , وكان في المقدمة من حيث البيان والتعبير, بقوله تعالى في كتابه العزيز:
(فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين).
((ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله)).
((ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله)).
فتحداهم القرآن بهذه الايات , قائلا اذا كنتم تظنون انه من كلام البشر, او من عندمحمد (ص), او انه قد اخذها من احد, فاتوا بمثله او بعشر سور منه او بسورة واحدة من سوره , واستعينوا باية وسيلة شئتم في تحقق هذا الامر, وما كان جواب الفصحا والبلغامن العرب الا ان قالوا انه لسحر ويعجز من مثلنا ان ياتي به .
ان القرآن الكريم لم يتحد العلما من جهة الفصاحة والبلاغة فحسب , بل تحداهم من جهة المعنى ايضا, وتحدى الجن والانس بما يمتلكون من قدرات فكرية خلاقة , لانه يشتمل على البرنامج الكامل للحياة الانسانية , ولو محص تمحيصا دقيقا,لوجد انه الاساس والاصل في مجالات الحياة الانسانية كلها, بما فيها الاعتقادات والاخلاق والاعمال التي ترتبط بالانسان فانه يعالج كل جانب من جوانبها بدقة تامة ,فهو من الله الحق , ودينه دين الحق ايضا.
الاسلام دين يستلهم احكامه ومواده من الله الحق وليس من رغبة اكثرية الناس او من فكر شخص حاكم قدير.
ان الركن الاساسي لهذا القانون الشامل هو الكلمة الحقة وهو الايمان بالله الاحد, وان جميع العلوم تنبثق من التوحيد, ومن ثم تستنبط الاخلاق والانسانية المثلى من هذه الاصول , وتصبح جز من هذا القانون , ثم تنظم وتنسق الكليات والجزئيات والتي هي خارجة عن نطاق احصا البشر, وتدرس الوظائف التي ترتبط بها, والتي تنبع من التوحيد, وتصدر عنه .
في الدين الاسلامي ارتباط وثيق بين الاصول والفروع على نحو يرجع كل حكم فرعي من اي باب , اذا ما محص الى كلمة التوحيد وينتهي اليه , وكلمة التوحيد مع ارتباطها بتلك الاحكام والمواد تصبح فرعا منه .
وطبيعي ان التنظيم والتنسيق النهائي لمثل هذا القانون الوسيع الشامل , مع مايمتاز به من وحدة وارتباط كهذه , خارج عن نطاق شخص متظلع في علم الحقوق والقانون , وان كان من اشهر مشاهيرهم , فضلا من ان الفهرست الابتدائي له ليس بالامراليسير, فكيف برجل يعيش في زمن يتصف بالحياة البدائية , في خضم الالاف من المشاكل والمصائب التي تهدد الاموال والارواح , والعام والخاص , وتنشي الحروب الدامية , والفتن الداخلية والخارجية , وفي النهاية يبقى منفردا امام العالم اجمع .
هذا فضلا من ان النبي (ص), لم يتعلم القراة والكتابة عند معلم , لقد قضى ثلثي عمره وحياته قبل دعوته في بيئة تفتقر الى حضارة , ولم تسمع بمدينة او حضارة , كانوايعيشون في ارض صحرا قاحلة , وجو مهلك , مع اتعس الظروف الحياتية , علما بانهاكانت تستعمر من قبل الدول المجاورة بين آونة واخرى , ومع كل هذه الظروف والاحوال نجد القرآن الكريم يتحدى من طريق آخر, وهو انه انزل بصورة تدريجية مع ظروف متفاوتة مختلفة , في ايام الفتن والايام الاعتيادية , في الحرب والصلح , وفي ايام القدرة وايام الضعف وغيرها, خلال ثلاث وعشرين سنة .
ولو لم يكن من كلام الله تعالى , وكان من صنع البشر, لوجد فيه تناقضا وتضاداكثيرا, فلابد ان ياتي آخره اجود واحسن من اوله , واكثر تطورا, وهذا مما يؤيده التكامل التدريجي للبشر, في حين نرى ان الايات المكية والمدنية على نمط واحد, لم يختلف آخرها عن اولها, كتاب متشابه الاجزا, يحير العقول في قدرة بيانه ووحدة تنسيقه :

١.الانسان روح وجسم

ان كلمة الروح والجسم والنفس قد كثر استعمالها في القرآن والسنة , علما بان تصور الجسم والبدن الذي يتم عن طريق الحس قد يكون امرا بسيطا, الا ان تصورالروح والنفس لا يخلو من ابهام وغموض .
ان الباحثين والمتكلمين والفلاسفة سوا من الشيعة او السنة , لهم نظريات متفاوتة في حقيقة الروح , ولكن الروح والبدن من وجهة نظر الاسلام هما واقعيتان متضادتان , فالبدن يفقد خواصه الحياتية بالموت , ويضمحل بصورة تدريجية , ولكن الروح ليست هكذا, فان الحياة اصالة للروح , وما دامت الروح في الجسم , فان الجسم يستمد حياته منها, وعندما تفارق الروح البدن , وتقطع علاقتها به , لا يقوى البدن على القيام باي عمل , الا ان الروح تستمر في حياتها.
ومما يستنبط من تدبر الايات القرآنية , وكلام اهل بيت العصمة (ع) ان الروح الانسانية غير مادية , ولكنها تنشي نوعا من العلاقة والوحدة مع الجسم , اذ يقول الله تعالى في كتابه المبين :
((ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقناالنطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر)).
ويتضح من سياق الايات , ان اوائلها تصف الخلقة المادية بشكلها التدريجي ,واواخرها عندما تشير الى خلقة الروح او الشعور والارادة , فانها تصفها بخلقة اخرى ,تختلف عن خلقتها الاولى .
وفي آية اخرى , في الرد على من يستبعد ((المعاد)) او ينكره يقول ان الانسان بعد موته وتفتت اجزائه , وتمازجها مع اجزا التربة , كيف تستعاد خلقته , ويصبح كماكان انسانا كاملا؟ يقول الله سبحانه : ((قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون)) اي الارواح تقبض على يد ملك الموت من ابدانكم , وتحفظ عندنا.
وفضلا عن هذا, فان القرآن الكريم , يعرف الروح بصورتها المطلقة غير المادية ,بقوله تعالى : ((ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي)).
وفي آية اخرى من الذكر الحكيم , يتطرق الى موضوع الامر بقوله : ((انما امره اذاراد شيئا ان يقول له كن فيكون)) وبمقتضى هذه الايات ان امر الله تعالى في خلقته للاشيا لم يكن تدريجيا, ولم يكن محددا بزمان او مكان , ولما كانت الروح امرا من الله اذن فهي ليست بمادة , ولم يكن في كنهها خاصة المادة التي تتصف بالتدرج والزمان والمكان .

٢.مبحث في حقيقة الروح من منظار آخر

ان التتبعات العقلية تؤيد القرآن الكريم ايضا في موضوع الروح كل منا يدرك حقيقة من وجوده , والتي نعبر عنها بال((انا)) وهذا الادراك موجود في الانسان بصورة مستمرة , واحيانا ينسى بعض اعضا جسمه من راس او يد او سائر الاعضا, وحتى جسمه كليا, ولكن يدرك ال((انا)) عندما يكون هو موجودا, وهذا ((المشهود)) كما هومشهود, غير قابل للانقسام والتجزئة , ومع ان جسم الانسان في تغيير وتحول دائم ,ويتخذ امكنة مختلفة له , وتمر عليه ازمنة مختلف الا ان الحقيقة المذكورة وهي ال(انا)ثابتة في واقعيتها لا تقبل التغيير او التبديل , وواضح اذا كانت مادة , كانت تتقبل خواص المادة , بما فيها الانقسام وتغير الزمان والمكان .
نعم ان الجسم يتقبل كل هذه الخواص , وبما ان هذه الخواص لها ارتباط روحي ,فتنسب الى الروح ولكن بالتامل والتدبر يتجلى للانسان , ان هذا المكان وذلك , وكذاهذا الشكل وذلك , وهذه الناحية وتلك , كلها من خواص البدن , والروح منزهة منها, وكل من هذه الصفات تنتقل اليها عن طريق البدن .
يسري هذا البيان فى خاصية الادراك والشعور على (العلم) والذي هو من مميزات الروح وبديهي ان العلم اذا كان يتصف بما تتصف به المادة , لكان تباعا يتقبل الانقسام والتجزئة والزمان والمكان .
ان هذا البحث العقلي واسع مطول , تتبعه اسئلة واجوبة , ولا يسعه كتابنا هذا,وهذا المقدار من البحث انما ادرج هنا على سبيل الاشارة , ولغرض استقصائه واستقرائه يستلزم الرجوع الى الكتب الفلسفية الاسلامية .

٣.الموت من وجهة نظر الاسلام

ان النظرة العابرة تفترض ان موت الانسان فناؤه وعدمه , وحدد حياة الانسان بالايام التي يعيشها فيما بين ولادته ووفاته , في حين نرى ان الاسلام يعتبر الموت انتقالا من مرحلة حياتية الى مرحلة حياتية اخرى , وللانسان حياة ابدية لا نهاية لها,وما الموت الذي يفصل بين الروح والجسم الا ليورده المرحلة الاخرى من

حياته , وان السعادة والشقا فيها يعتمدان على الاعمال الحسنة او السيئة في مرحلة حياته قبل الموت , ومما يروى عن النبي (ص), ما مضمونه , تظنون انكم تفنون بالموت , ولكنكم تنتقلون من بيت لاخر.

٤.عالم البرزخ

ومما يستفاد من القرآن الكريم والسنة , ان الانسان يتمتع بحياة مؤقتة ومحدودة في الحد الفاصل بين الموت ويوم القيامة , والتي تعتبر رابطة بين الحياة الدنيا والحياة الاخرى .
والانسان بعد موته , يحاسب محاسبة خاصة , من حيث الاعتقاد, والاعمال الحسنة والسيئة التي كان عليها في الدنيا, وبعد هذه المحاسبة المختصرة , ووفقا للنتيجة التي يحصل عليها, يحكم عليه بحياة سعيدة او شقية , ويكون عليها الى يوم القيامة .
وحالة الانسان في عالم البرزخ تشابه كثيرا حالة الشخص الذي يراد التحقيق معه لما قام به من اعمال , فيجلب الى دائرة قضائية كي تتم مراحل الاستجواب والاستنطاق منه , لغرض تنظيم ملف له وبعدها يقضي فترة ينتظر خلالها وقت محاكمته .
روح الانسان في عالم البرزخ , تعيش بالشكل الذي كانت عليه في الدنيا, فاذاكانت من الصلحا, تتمتع بالسعادة والنعمة وجوار الصلحا والمقربين لله تعالى , واذا ماكانت من الاشقيا, تقضيها في النقمة والعذاب , ومصاحبة الاشرار, واهل الضلال .
فالله جل شانه يصف حالة بعض السعدا بقوله :
((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون ,فرحين مما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لاخوف عليهم ولا هم يحزنون , يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجرالمؤمنين)).
وفي وصف حالة مجموعة اخرى , الذين كانوا ينفقون اموالهم وثرواتهم في مشاريع غير مشروعة في الحياة الدنيا, يصفهم بقوله تعالى :
((حتى اذا جا احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون)).

٥.يوم القيامة ـ المعاد

ينفرد القرآن الكريم بين الكتب السماوية , بالتحدث عن المعاد والحشر تفصيلا,في حين ان ((التوراة)) لم تشر الى هذا اليوم وهذا الموقف , وكتاب ((الانجيل)) يشيراشارة مختصرة , والقرآن يذكره ويذكر به في مئات الموارد, وباسما شتى , ويشرح عاقبة العالم والبشرية , التي تنتظرهم فتارة باختصار واخرى باسهاب .
ويذكر مرارا ان الاعتقاد بيوم الجزا (يوم القيامة) يعادل الاعتقاد بالله تعالى ,ويعتبر احد الاصول الثلاثة للاسلام ومنكره (منكر المعاد), خارج عن شريعة الاسلام وما عاقبته الا الهلاك والخسران .
وحقيقة الامر هكذا, اذا لم تكن هناك محاسبة وجزا وعقاب , فان الدعوة الدينية بما تحتوي من اوامر الله ونواهيه , لم يكن لها ادنى فائدة او اثر, وان وجود النبوة والابلاغ وعدمه كان سوا, بل يرجح عدمه على وجوده , لان تقبل الدين واتباع موازين الشرع , لا يخلو من تكلف وسلب للحرية , واذا كان اتباع الدين لم يكن له اثر او نتيجة ,لن يتحمل الناس هذا العب وهذه المسؤولية , ولن يتخلوا عن الحرية الطبيعية .
ومن هنا يتضح ان اهمية ذكر يوم الحشر وتذكره يعادل اهمية اصل الدعوة الدينية .
ويتضح ايضا ان الاعتقاد بيوم الجزا من اهم العوامل التي تجبر الانسان على ان ينتهج الورع والتقوى , وان يتجنب الاخلاق الرذيلة , والمعاصي والذنوب , كما ان نسيانه , او عدم الاعتقاد به , سوف يكون اساسا واصلا لكل معصية او ذنب , ويقول جل من قائل :
((ان الذين يضل ون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب)).
ومما يلاحظ في الاية , ان منشا كل ضلال هو نسيان يوم الحساب .
والتدبر في خلقة الانسان والعالم , وكذا في الهدف من الشرائع السماوية , يتضح الغرض من اليوم الذي سيلاقيه الانسان ((يوم الجزا)).
ونحن عندما نتدبر الاعمال والافعال في الطبيعة , نرى ان كل عمل (والذي يحتوي على نوع من الحركة بالضرورة) لا يتم الا عن غاية وهدف , ولم يكن العمل نفسه بالاصالة هو المقصود, بل انه مقدمة لهدف وغاية فيكون مطلوبا لذلك الهدف او لتلك الغاية , حتى في الاعمال التي تعتبر سطحية مثل الافعال الطبيعية والاعمال الصبيانية ونظائرها, لو دققنا فيها لوجدنا فيها غايات واغراضا تناسب نوع الفعل , كما في

الاعمال الطبيعية التي تتصف بالحركة غالبا, فان الغاية التي تسعى اليها هذه الحركة تعتبر الغاية والهدف لها, واما في لعب الاطفال وما يتناسب مع نوع اللعبة , فان هناك غاية خيالية وهمية , والهدف من اللعب هو الوصول اليه .
وفي الحقيقة ان خلقة الانسان والعالم , من اعمال الله تعالى وانه منزه من ان يقوم باعمال عبث , دون هدف او غرض , فهو الذي يخلق , ويرزق ويميت , وهكذا يخلق ويهلك , فهل يتصور ان يكون خلقه هذا دون هدف معين , وغرض محكم يتابعه ؟.
اذن لابد لخلق الكون والانسان , هدف وغاية ثابتة , وان الفائدة منه لا تعود الى الله الغني المتعال , وكل ما فيه يعود للمخلوق اذن يجب الاعتراف بان الكون بما فيه الانسان يتجه ويسير نحو خلقة معينة خاصة , ووجود اكمل , لا يتصفان بالفنا والزوال .
واذا امعنا النظر في حالة الناس ووضعهم , ومدى تاثرهم بالتربية الدينية , فاننا نرى ان الناس ينقسمون الى قسمين , اثر الارشادات الالهية , والتربية الدينية , وهم الاخيار والاشرار, ومع هذا الوصف , فاننا لم نجد اي امتياز او فارق في هذه الحياة , بل على العكس , وغالبا ما تكون الموفقية للاشرار والظالمين , اما الاخيار فانهم على صلة بالفتن والمشاكل والحياة السيئة والحرمان وتحمل الظلم .
والحال هذه تقتضي العدالة الالهية في ان تكون هناك نشاة اخرى , حتى يجدفيها كل من الفريقين المذكورين , جزا اعمالهم , ويحيون حياة تناسب حالهم , ويشيرالله تعالى في كتابه العزيز الى هاتين الحالتين بقوله :
((وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون)) .
((وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار)).
ويذكر في آية اخرى , وقد جمع فيها الدليلين بقوله جل شانه :
((ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سوا محياهم ومماتهم سا ما يحكمون وخلق الله السماوات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون)).

٦.بيان آخر

قد اشرنا في الفصل الثاني من الكتاب في مبحث الظاهر والباطن القرآني , ان المعارف الاسلامية في القرآن الكريم , مبينة من طرق مختلفة , والطرق المذكورة بشكل تنقسم الى قسمين , الظاهر والباطن .
والمراد من طريق الظاهر, هو البيان الذي يتناسب ومستوى افكار العامة , على خلاف الطريف الباطن الذي يختص بالخاصة منهم , ويدرك مع روح الحياة المعنوية .
والبيان الذي يؤخذ عن طريق الظاهر مؤداه ان الله تعالى الحاكم المطلق لعالم الخلقة , فكل ما في هذا الكون ملكه , فهو الذي خلق الملائكة التي لا يعلم احصاؤها كي تكون مطيعة ومنفذة لاوامره , يرسلهم الى حيث شا من الكون , ولكل بقعة من عالم الطبيعة وما يلازمها من نظام ترتبط بمجموعة خاصة من الملائكة موكلين عليها.
والنوع الانساني من مخلوقاته وعباده الذين يجب عليهم اتباع اوامره ونواهيه ,والاطاعة له , وما الانبيا الا حملة شرائعه وقوانينه , يبعثهم الى الناس , لبيان واجرا تلك الشرائع والقوانين .
فالله جل ثناؤه , لما جعل الثواب والاجر لمن آمن واطاع , جعل العقاب والعذاب لمن كفر وعصى , وهو القائل , لن يخلف الله وعده , ولما كان عادلا, فعدالته تقتضي ان يفصل بين الفريقين في النشاة الاخرى , وهما الاخيار والاشرار, وان يمتع الاخياربالنعيم , وللاشرار الشقا.
وقد وعد الله تعالى بمقتضى عدله , ان يحشر الناس الذين مروا فى الحياة الدنيادون استثنا ويحاسبهم حسابا دقيقا فى معتقداتهم واعمالهم , من صغيرة او كبيرة ,ويقضى بينهم بالحق والعدل , وفي النهاية , سيوصل كل ذي حق حقه , وياخذ لكل مظلوم نصيبه ممن ظلمه , ويعطى اجر عمل كل عامل , ويصدر الحكم لفريق في الجنة وفريق في السعير.
هذا هو البيان الظاهري للقرآن الكريم , وقد جا مطابقا لفكر الانسان الاجتماعي , لتكون فائدته اعم , ونطاقه اشمل .
اما الذين تعمقوا في الحقائق , ولهم القدرة على فهم المعنى الباطنى للقرآن الكريم , فهم يدركون الايات القرآنية على مستوى ارفع من العامة والقرآن الكريم ,يلوح خلال تعابيره البسيطة احيانا بالمعنى الباطني تلويحا.
فالقرآن الكريم , مع تعبيراته المختلفة , يذكر اجمالا ان الطبيعة بجميع اجزائها,والانسان احدها, مع سيرها التكويني (والتي تسير نحو الكمال) تصير الى الله تعالى ,وسياتى اليوم الذي تنهي حركتها وسيرها, وتفقد آنيتها واستقلالها كليا.

والانسان وهو جز من اجزا هذا الكون , فان طريق تكامله الخاص يتم عن طريق الشعور والعلم , يسرع فى طريقه الى الله تعالى , واليوم الذي يختتم به هذاالانطلاق , سيشاهد عيانا حقانية الله الاحد, وسيرى ان القدرة والملك وكل صفة من صفات الكمال تنحصر في ذاته القدسية , ومن هذا الطريق , ستنجلي له حقيقة الاشياكلها.
وهذا هو اول منزل وموقف من العالم الابدي , فاذا كان الانسان في هذه الدنيا,بايمانه وعمله الصالح , اوجد ارتباطا واتصالا بالله تعالى واستانس به , وبالمقربين من عباده , فانه سيحظى بسعادة لا توصف , وسيكون في جوار الله سبحانه , ويكون قرين الصالحين فى العالم العلوي , واذا ما كان ممن تربطهم علاقة وثيقة بهذه الدنيا الدنيئة ,ولذائذها الزائلة , فقد قطع اتصاله بالعالم العلوي , ولم تقم بينه وبين خالقه رابطة اواتصال ولا مع المقربين من عباده , فانه سيحاط بعذاب دائم , وخزي ابدي .
صحيح ان الاعمال الحسنة والسيئة للانسان في هذه الدنيا تزول وتذهب , لكن صور الاعمال هذه تستقر في باطنه , واينما رحل في معه , وتكون مصدر حياته الاتية سوا فى السعادة او الشقا.
وكل ما ذكر يمكن استنتاجه من الايات التالية :
يقول حل من قائل : ((ان الى ربك الرجعى)).
ويقول : ((الا الى الله تصير الامور)).
ويقول : ((الامر يومئذ لله)).
ويقول : ((يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي)).
ويخاطب الله سبحانه يوم القيامة بعض افراد البشر, بقوله :
((لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد)).
وفي تاويل القرآن الكريم , والحقائق التي تنبع منه الايات , يقول جل اسمه :
((هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جات رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعا فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قدخسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون)).
ويقول تعالى :
((يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق و يعلمون ان الله هو الحق المبين)).
ويقول تعالى شانه :
((يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه)).
ويقول تعالى ذكره :
((من كان يرجو لقا الله فان اجل الله لات)).
ويقول تعالى اسمه :
((فمن كان يرجو لقا ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا)).
ويقول سبحانه :
((يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي)).
ويقول سبحانه وتعالى :
((فاذا جات الطامة الكبرى , يوم يتذكر الانسان ما سعى , وبرزت الجحيم لمن يرى , فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوى , واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى , فان الجنة هي الماوى)).
ويتحدث القرآن الكريم عن كنه جزا الاعمال قائلا:
((يا ايها الذين كفروا, لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون)).

٧.استمرار الخلقة وتعاقبها

ان عالم الخلقة الذي نشاهده , ذو عمر محدود, وسياتي اليوم الذي يفنى ويزول فيه , كما يؤيد القرآن الكريم هذا المعنى بقوله تعالى : ((ما خلقنا السماوات والارض ومابينهما الا بالحق واجل مسمى)).
وهل خلق عالم , وهل كان هناك انسان , قبل ظهور عالمنا هذا والبشر الذي يعيش فيه حاليا؟ وهل بعد زوال وفنا هذا العالم بما فيه , والذي يخبر به القرآن الكريم سينشا عالم آخر وسيخلق بشر؟ فهذه اسئلة لا نجد جوابها في القرآن الكريم الاتلويحا,لكن الروايات الواردة عن ائمة اهل البيت (ع), تجيب بايجاب عن هذه الاسئلة .

١.معنى الامام .

تطلق كلمة الامام او القائد على شخص يقود جماعة او فئة , ويتحمل عب هذه المسؤولية , اما في المسائل الاجتماعية او السياسية او الدينية , ويرتبط عمله بالمحيطالذي يعيش فيه , ومدى سعة المجال للعمل فيه او ضيقه .
ان الشريعة الاسلامية المقدسة (كما اتضح في الفصول السابقة) تنظر الى الحياة العامة للبشر من كل جهة , فهي تصدر آوامرها لارشاد الانسان في الحياة المعنوية , وكذافي الحياة الصورية من الناحية الفردية , وتتدخل في ادارة شؤونه , كما تتدخل في حياته الاجتماعية والقيادية (الحكومة) ايضا.
وعلى ما مر ذكره , فان الامام او القائد الديني في الاسلام , يمكن ان يكون مورداهتمام من جهات ثلاث :
الاولى : من جهة الحكومة الاسلامية .
الثانية : من جهة بيان المعارف والاحكام الاسلامية ونشرها.
الثالثة : من جهة القيادة والارشاد في الحياة المعنوية .
تعتقد الشيعة بان المجتمع الاسلامي يحتاج الى الجهات الثلاث التي سبق ذكرها, احتياجا مبرما, والذي يتصدى لقيادة الجهات الثلاث , بما فيها قيادة المجتمع ,يجب ان يعين من قبل الله والرسول الاعظم (ص), علما بان النبي (ص) ايضا يعين الامام بامر من الله تعالى .

٢.الامامة وخلافة النبي الاكرم (ص) في الحكومة الاسلامية

ان الانسان بما يمتاز به من مواهب الهية , يدرك جيدا ومن دون تردد, ان اي مجتمع متلف , في اية بقعة او مملكة او مدينة او قرية او قبيلة , وحتى في بيت واحديتالف من عدة افراد, لن يستطيع ان يعيش ويستمر في حياته دون قائد او ناظر عليه ,فهو الذي يجعل الحياة نابضة , ويحرك عجلات اقتصادها, ويحفز كل فرد من افرادالمجتمع بانجاز وظيفته الاجتماعية فالمجتمع الفاقد لقائد, لا يستطيع ان يستمر في حياته , وفي اقل فترة ممكنة ينهار قوامه , ويسير نحو الهمجية والتحلل الخلقي .
فعلى هذا, فالشخص الذي يتولى قيادة مجتمع (سوا اكان كبيرا ام صغيرا)ويعير اهتماما لمنصبه ومقامه , يبدي عنايته لبقا ذلك المجتمع , نجده يعين خلفا له فيمالو اراد ان يغيب عن محل عمله (سوا اكانت الغيبة مؤقتة ام دائمية) ولن يتخلى عن مقامه ما لم يعين احدا, ولن يترك بلاده , او بقعته دون ناظر او حارس عليها او قائد لها,لانه يعلم جيدا, ان غض النظر عن هذه المهمة وعدم استخلاف احد, يؤدي بمجتمعه الى الزوال والاضمحلال , كما لو اراد رب البيت ان يسافر عدة ايام او اشهر, فانه يختاراحدهم (او احدا غيرهم) مكانه , ويلقي اليه مقاليد الادارة للبيت , وهكذا الرئيس لمؤسسة او المدير لمدرسة , او الصاحب لحانوت , وهو يشرف على موظفين او صناع يعملون تحت امرته , فلو قدر ان يترك محل عمله حتى لساعات قليلة فانه يختار احدهم ويعينه مكانه , كي يتسنى للاخرين الرجوع اليه , في المشكلات او المعضلات , وقس على هذا.
الاسلام دين قوامه الفطرة , وذلك بنص القرآن الحكيم والسنة النبوية , وهو نظام اجتماعي , يدركه كل من له المام بهذا الدين , ومن ليس له صلة به والعناية الخاصة التي قد بذلها الله جل وعلا, ونبيه الكريم (ص) لهذا الدين الجامع , لا ينكرها احد, ولا يسعنامقارنته مع اي شي آخر.
فالنبي الاكرم (ص), كان لا يترك المجتمع الذي دخل في الاسلام , او المجتمع الذي قد سيطر عليه الاسلام , وكذا كل بلدة او قرية كانت تقع تحت امرة المسلمين , دون ان يرسل اليها واليا او عاملا, في وقت مبكر, كي يدير شؤون تلك المجتمعات او البقاع ,وكان هذا داب النبي (ص), في الجهاد, فعندما كان يرسل كتيبة الى مكان ما, فانه كان يعين قائدا لها, و كان يعين اكثر من قائد احيانا, كما حدث ذلك في حرب (مؤته) اذ عين (ص) اربعة , فاذا ما قتل الاول , استخلفه الثاني من بعده , واذا ما قتل الثاني , استخلفه الثالث وهكذا.
وقد ابدى الاسلام عنايته بموضوع الخلافة والاستخلاف عناية تامة , فلم يتغافل عن هذا الموضوع , ومتى ما اراد النبي (ص) ان يترك المدينة , كان يستخلف احدا وفي الوقت الذي اراد الرسول الاعظم (ص) الهجرة من مكة الى المدينة , عين عليا خليفة له في مكة , للقيام بالاعمال الخاصة به لفترة قصيرة , كادا الامانات الى اهلها, وقد اوصى (ص) عليا (ع) ان يقوم بادا الديون وما يتعلق بشؤونه الخاصة , بعد وفاته (ص).
ووفقا لهذه القاعدة , فان الشيعة تدعي انه لن يتصور ان النبي (ص) قبيل وفاته لم يوص لاحد يستخلفه في شؤون الامة من بعده , او انه لم يعين شخصا يقوم بادارة المملكة الاسلامية .
وليس هناك من شك , والفطرة الانسانية تقر بذلك , بان نشؤ مجتمع يرتبطبمجموعة من عادات وتقاليد مشتركة تقرها اكثرية ساحقة لذلك المجتمع , وكذا يرتبطبقاؤها ودوامها بحكومة عادلة تتبنى اجرا تلك العادات والتقاليد اجرا كاملا, وهذاالامر لا يخفى على الشخص اللبيب او ان يتغافل عنه , في حين انه ليس هناك مجال للشك في الشريعة الاسلامية , بما فيها من دقة ونظام , ولما كان يبديه النبي الكريم (ص)من احترام وتقدير

لتلك الشريعة , اذ كان يضحي بما في وسعه في سبيلها, ان يـهـمـل الـمـوضـوع او يـتـركـه عـلـمـا بـان النبي (ص), كان نابغة زمانه , في قوة تفكره , وفراسته وتدبيره , (فضلا عن ملازمات الوحي والنبوة وما تتبعها من تاييدات).
وكـمـا نجد في الاخبار المتواترة عن طريق العامة والخاصة , في كتب الاحاديث والروايات (باب الفتن وغيرها), انه (ص) كان ينبي بالفتن والمحن التي ستلاقيها الامة الاسلامية بعده , وما يشوب الاسلام من فساد, كحكومة آل مروان وغيرهم , الذين غيرواوحرفوا الشريعة السمحا, فكيف به (ص) وهـو يـهـتم بامور تحدث بعد سنوات عديدة متاخرة عن وفاته , وما تنطوي عليها من فتن و مـصـائـب , يـتـغافل عن موضوع يحدث بعيدوفاته , وفي الايام الاول بعد رحلته (ص)؟ عنايته لموضوع خطير من جهة ,وبسيط من جهة اخرى , في حين كان يبدي اهتمامه لابسط الامور الاعـتـيـاديـة , كـالاكـل والشرب والنوم وما شاكل , فنجده يصدر الاوامر اللازمة لهذه المسائل الـطـبـيـعـيـة , فـكـيـف لا يبدي اهتماما لمسائل اساسية مهمة او ان يختار الصمت ازاها, ولا يعين احدامكانه ؟.
وعـلـى فرض المحال , لو كان تعيين القائد لمجتمع اسلامي في الشريعة الاسلامية , منوطا بالمجتمع نـفسه , لكان لزاما على النبي (ص), ان يصرح في هذاالخصوص ويشير اليه اشارة وافية , ويعطي الامـة الارشـادات اللازمة , كي تصبح واعية امام موضوع يضمن لها تقدمها وتكاملها, ويتوقف عليه شعائر دينها.
فـي حين اننا لم نجد مثل هذا التصريح , ولو كان هناك نص صريح لما خالفه من جا من بعده , وذلك ما حـدث مـن الـخليفة الاول , وانتقال الخلافة الى الثاني بوصية منه ,والرابع اوصى لابنه , اما الخليفة الثاني فقد دفع الثالث الى منصة الخلافة بحجة انه احال الامر من بعده الى شورى تتضمن ستة اعضا, وقد عين هؤلا الاعضا, وكذا كيفية انتخابهم .
اما معاوية فقد استعمل الشدة في صلح الامام الحسن (ع), واستتب له الامر,وبعدها صارت الخلافة وراثـيـة , وتـغـيـرت الشعائر الدينية , من جهاد وامر بالمعروف ونهي عن المنكر واقامة الحدود وغيرها كل هذه قد زالت عن المجتمع الاسلامي , فاضحت جهود الشارع هبا.
امـا الـشـيـعـة فـقد حصلت على هذه النتيجة خلال البحث والدراسة في الدرك الفطري للانسان , والسيرة المستمرة للعقلا, وبالتعمق والفحص في الاسس الاساسية للشريعة الاسلامية التي مرامها احـيـا هـذه الـفـطرة الانسانية , وبالتامل في الحياة الاجتماعية التي كان ينتهجها النبي (ص) وكذا بـدراسـتـه الـحـوادث المؤسفة التي حدثت بعد وفاته , والتي عانت الامة الاسلامية منها عنا بالغا, ودراسـة وضع الحكومات الاسلامية في القرن الاول , وما لازمها من قصور عن ادا وظائفهم , تصل الى هذه النتيجة .
ان هناك نصوصا كافية قد صرح بها من قبل النبي (ص) في خصوص تعيين امام وخليفة من بعده , وان الايـات والاخـبار المتواترة القطعية تشير الى هذا المعنى , كية الولاية وحديث غدير خم وحديث الـسـفينة وحديث الثقلين , وحديث الحق وحديث المنزلة وحديث دعوة العشيرة الاقربين وغيرها, ولكن المراد من الايات والاحاديث آنفة الذكر قد اول وحرف لاسباب ودواع .

٣.تاييد للاقوال السابقة

كـانت اخريات ايام النبي صلى الله عليه وآله وسلم , والتي قد مرض فيها,وهناك جمع من الصحابة قد حضروا عنده , فقال النبي (ص):
((هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا)).
قـال بـعـضـهـم , ان رسـول اللة (ص) قد غلبه الوجع وعندكم القرآن , حسبنا كتاب الله , فاختلف الـحـضور بالبيت واختصموا, فمنهم من يقول , قربوا يكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده , ومنهم من يقول غير ذلك , فلما اكثروا اللغو والاختلاف , قال رسول الله (ص): قوموا.
مـع مـا تـقدم من البحث , ومع الالتفات الى ان الذين مانعوا من تدوين كلمة الرسول العظيم (ص), هم انفسهم قد حظوا في اليوم التالي بالخلافة الانتخابية , وكان الانتخاب دون علم علي (ع) واصحابه , فجعلوهم امام امر واقع , وهل هناك شك في ان النبي (ص) كان يريد تعيين علي , ليجعله خليفة له من بعده .
ومـا كان الهدف من المعارضة الا جعل المحيط مضطربا يقضي بانصراف النبي (ص) عن الامر, ولم يكن الغرض اتصاف النبي بالهذيان , وغلبة المرض عليه , وذلك لاسباب :
اولا: فضلا عن ان النبي (ص) طوال فترة مرضه , لم يسمع منه كلام لا يليق بمقامه , ولم ينقل احد هذا الـمـعـنى , فانه لا يحق لمسلم وفقا للموازين الدينية ان ينسب الى النبي (ص) الهذيان والكلام العبث , علما بانه (ص) مصون ومعصوم من قبل الله تعالى .
ثـانـيـا: لو كان المراد من الكلام , المعنى الحقيقي له , فلا حاجة الى ذكر العبارة التي تلتها, ((كفانا كـتـاب الله)) اذ لو كان المراد نسبة الهذيان الى النبي (ص), لكفى ذكرمرضه , لا ان يؤيد القرآن , وينفي قول الرسول (ص

), وهذا الامر لا يخفى على رجل صحابي , من ان القرآن الكريم قد فرض علـى الامة الاسلامية اتباع النبي (ص), وانه مفروض الطاعة , وكلامه عدل للقرآن والناس ليس لهم اي اجتهاد او اختيار امام حكم الله ورسوله .
ثالثا: ان ما حدث في مرض الرسول (ص), قد حدث ايضا في مرض الخليفة الاول , عندما كان يوصي الى الخليفة الثاني من بعده , وعثمان حاضر يحرر ما يملي عليه الخليفة الاول , اذ اغمي على الخليفة , والخليفة الثاني لم يعترض عليه كما اعترض على النبي (ص).
وفضلا عن هذا كله , فان الخليفة الثاني قد اعترف في حديث له لابن عباس قائلا انني ادركت ان النـبـي (ص) يـريـد ان يوصي لعلي , الا ان مصلحة المسلمين كانت تستدعي ذلك , ويقول ايضا, ان الـخـلافـة كانت لعلي , فاذا ما كانت الخلافة صائرة اليه ,لفرض على الناس اتباع الحق , ولم ترضخ قريش لهذا الامر, فرايت من المصلحة الاينالها, ونحيته عنها.
علـما بان الموازين الدينية تصرح ان المتخلف عن الحق يجب ان يعود اليه , لا ان يترك الحق لصالح المتخلف .
ومـمـا تـتـنـاقله كتب التاريخ , ان الخليفة الاول امر بمحاربة القبائل المسلمة التي امتنعت من اعطا الزكاة , قال : ((والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله (ص)لاقاتلنهم على منعه)).
والمراد من هذا القول , هو ان اقامة الحق واحياه واجب مهما بلغ الثمن , وبديهي ان موضوع الخلافة حق ايضا الا انه اغلى من العقال واثمن .

٤.الامامة في العلوم التشريعية

اشـرنـا فـي الـفـصـول الـمتقدمة , في معرفة النبي ((الرسول)) (ص) وقلنا, وفقا للقانون الثابت والـضـروري للهداية العامة , ان اي نوع من انواع الكائنات يسير نحو الكمال والسعادة المناسبة له , وذلك عن طريق الفطرة والتكوين .
والانسان ايضا احد انواع هذه الكائنات لا يستثنى من القانون العام ويجب ان يرشد الى طريق خاص في حياته , تضمن له سعادته في الدنيا والاخرة , وذلك عن طريق الغريزة المتصفة بالنظرة الواقعية للحياة , والتامل في حياته الاجتماعية , وبعبارة اخرى , يجب ان يدرك مجموعة من معتقدات ووظائف عملية , كي يجعلها اساسا له في حياته ليصل بها الى السعادة والكمال المنشود, وقلنا ان المنهاج للحياة وهـو مـا يسمى بالدين لا يتاتى عن طريق العقل , بل هو طريق آخر ويدعى الوحي والنبوة , والتي تظهرفي بعض من اوليا الله الصالحين وهم الانبيا, ورسل السما.
فـالانـبـيا قد انيطت بهم مسؤولية هداية الناس عن طريق الوحي من الله تعالى فاذا ما التزموا بتلك الاوامر والنواهي , ضمنوا السعادة لهم .
يـتـضـح ان هذا الدليل , فضلا عن انه يثبت لزوم مثل هذا الادراك بين ابنا البشر,يثبت ايضا, لزوم وضرورة وجود افراد حفظة على هذا البرنامج , وايصاله الى الناس اذااقتضت الضرورة ذلك .
وكـذا يـسـتـلـزم وجـود اشخاص قد ادركوا الواجبات الانسانية , وذلك عن طريق الوحي , وهم بـدورهـم يـنـهضون بتعليم المجتمع , كما يجب ان تبقى هذه الواجبات السماوية , مادام الانسان حيا, وتعرض عليه عند الضرورة .
فالذي يتحمل عب هذه المسؤولية , يعتبر حاميا للدين الالهي , ويعين من قبل الله تعالى , وهو من يسمى ب((الامام)) كما يدعى حامل الوحي الالهي , والشرائع السماوية ب((النبي)) وهو من قبل الله تعالى ايضا.
يـتـفـق ان تـكون النبوة والامامة في شخص واحد, وقد لا يتحقق ذلك , فكما ان الدليل المتقدم يثبت عصمة الانبيا, يثبت عصمة الائمة ايضا.
اذ تقتضي رحمة الله وعطفه ان يضع الدين الحقيقي غير المحرف في متناول ايدي البشر دوما ولا يتحقق هذا الامر دون ان تكون هناك عصمة .

٥.الفرق بين والنبي والامام

ان تـسلم الاحكام والشرائع السماوية , والتي تتم بواسطة الانبيا, انما يثبت لناموضوع ((الوحي)) وهذا ما مر علينا في الفصل المتقدم وليس فيه ما يؤيد استمراريته وبقاه على خلاف الحافظ والحامي الـذي يـعـتبر امرا مستمرا, ومن هنا نصل اليه نتيجة ان ليس هناك ضرورة ان يكون نبي بين الناس بـصورة مستمرة , لكن يستلزم ان يكون امام بينهم , ويستحيل على مجتمع بشري ان يخلو من وجود امام سوا عرفوه ام لم يعرفوه ,

وقد اشار الحكيم في كتابه : ((فان يكفر بها هؤلا فقد وكلنا بها قوما ليسوا بهابكافرين)).
فكما اشرنا, يتفق ان تجتمع النبوة والامامة في شخص واحد, فيمتاز بالمقامين النبوة والامامة , (تسلم الشريعة والاحتفاظ بها والسعي في نشرها) وقد لا تجتمع في واحد, وهناك ادوار من الزمن خلت من وجود الانبيا, الا ان هناك امام حق في كل عصر, ومن البديهي ان عدد الانبيا محدود, ولم يظهروا في جميع الادوار التي مرت بهاالبشرية .
يشير الحكيم في كتابه المبين الى بعض الانبيا الذين امتازوا بصفة الامامة ايضا, كما في ابراهيم (ع) اذ يقول : ((واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين)).
وكذا قوله تعالى : ((وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا)).

٦.الامامة في باطن الاعمال

كما ان الامام قائد وزعيم للامة بالنسبة للظاهر من الاعمال , فهو قائد وزعيم بالنسبة للباطن من الاعمال ايضا, فهو المسير والقائد للانسانية من الناحية المعنوية نحوخالق الكون وموجده .
لكي تتضح هذه الحقيقة لابد من مراعاة المقدمتين التاليتين :
اولا: ليس هناك من شك او تردد في ان الاسلام وسائر الاديان السماوية , تصرح بان الطريق الوحيد لسعادة الانسان او شقائه هو ما يقوم به من اعمال حسنة او سيئة ,فالدين يرشده , كما ان فطرته وهي الفطرة الالهية تهديه الى ادراك الحسن والقبيح .
فالله سبحانه يبين هذه الاعمال عن طريق الوحي والنبوة , ووفقا لسعة فكرنانحن البشر, وبلغة نفهمها ونعيها, بصورة الامر والنهي والتحسين والتقبيح في قبال الطاعة او التمرد والعصيان , يبشر الصالحين والمطيعين بحياة سعيدة خالدة , وقداحتوت على كل ما تصبو اليه البشرية من حيث الكمال والسعادة , وينذر المسيئين والظالمين بحياة شقية خالدة , وقد انطوت على البؤس والحرمان .
وليس هناك ادنى شك من ان الله تعالى يفوق تصورنا وما يجول في اذهاننا ولكنه لم يتصف بصفة البشر من حيث التفكير.
وليس لهذه الاتفاقية ان يكون هناك سيد ومسود وقائد ومقود, وامر ونهي وثواب وعقاب واقع خارجي سوى في حياتنا الاجتماعية اما الجهاز الالهي فهو الجهازالكوني الذي يربط حياة كل مخلوق وكائن بالله الخالق ربطا وثيقا.
ومما يستفاد من القرآن الكريم واقوال النبي العظيم (ص) ان الدين يشتمل على حقائق ومعارف تفوق فهمنا وادراكنا الاعتيادي , وان الله جل شانه قد انزلها الينا بتعبيربسيط يلائم تفكيرنا, كي يتسنى لنا فهمها وادراكها.
يستنتج مما تقدم ان هناك ارتباطا بين الاعمال الحسنة والسيئة , من جهة والحياة الاخرى بما تمتاز به من خصائص وصفات من جهة اخرى ارتباطا واقعيا,تكشف عن سعادة او شقا.
وبعبارة اوضح , ان كل عمل من الاعمال الحسنة والسيئة يولد في الانسان واقعية , والحياة الاخروية ترتبط بهذه الواقعية ارتباطا وثيقا.
ان الانسان في حياته يشبه الطفل , سوا اشعر بهذا الامر ام لم يشعر, حيث تلازمه شؤون تربوية , فهو يدرك ما يملي عليه مربيه بالفاظ الامر والنهي , لكنه كلما تقدم في العمر استطاع ان يدرك ما قاله مربيه , فينال بذلك الحياة السعيدة , وما ذلك الا بماتصف به من ملكات , واذا ما رفض وعصى معلمه الذي كان يسعى له بالصلاح , نجدحياته مليئة بالمسي والالام .
فالانسان يشبه المريض الذي داب على تطبيق اوامر الطبيب في الدوا والغذا,او رياضة خاصة , فهو لم يبال الا بما املاه عليه طبيبه , فعندئذ يجد الراحة والصحة ,ويحس بتحسن صحته .
وصفوة القول , ان الانسان يتصف بحياة باطنية غير الحياة الظاهرية التي يعيشها,والتي تنبع من اعماله , وترتبط حياته الاخروية بهذه الاعمال والافعال التي يمارسها في حياته هنا.
ان القرآن الكريم يثبت هذا البيان العقلي , ويثبت في الكثير من آياته بان هناك حياة اسمى وروحا ارفع من هذه الحياة للصالحين والمؤمنين , ويؤكد على ان نتائج الاعمال الباطنية تلازم الانسان دوما, والنبي العظيم قد اشار الى هذا المعنى ايضا في الكثير من اقواله .
ثانيا: كثيرا ما يحدث ان يرشد شخص احدا بعمل حسن دون ان يلتزم هو بذلك العمل , في حين ان الانبيا و الائمة الاطهار ترتبط هدايتهم للبشر بالله جل و علا,ويستحيل ان يشاهد عندهم هذه الحالة , وهو عدم الالتزام بالقول او العمل به , فهم العاملون بمبادي الدين الذي هم قادته وائمته , وانهم متصفون بروح معنوية سامية ,يرشدون بها الناس , ويهدونهم الى الطريق القويم .
فلو اراد الله سبحانه ان يجعل هداية امة على يد فرد من افرادها, فهو يربي ذلك الفرد تربية صالحة تؤهله

للقيادة والامامة , ولن تجد لسنة الله تبديلا.
مما تقدم نستطيع ان نحصل على النتائج التالية :
١ ـ ان النبي او الامام لكل امة , يمتاز بسمو روحي وحياة معنوية رفيعة , وهويروم هداية الناس الى هذه الحياة .
٢ ـ بما انهم قادة وائمة لجميع افراد ذلك المجتمع , فهم افضل من سواهم .
٣ ـ ان الذي يصبح قائدا للامة بامر من الله تعالى , فهو قائد للحياة الظاهرية والحياة المعنوية معا, وما يتعلق بهما من اعمال , تسير مع سيره ونهجه .

٧.ائمة الاسلام وقادته

ومما تقدم يستنتج ان بعد وفاة الرسول العظيم (ص) ما زال ولا يزال امام معين من قبل الله تعالى في الامة الاسلامية .
وهناك المزيد من الاحاديث النبوية في وصف الائمة وعددهم , وانهم من قريش ومن اهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم , وان منهم الامام المهدي (عج) وهو آخرهم .
وهناك نصوص صريحة ايضا من الرسول الكريم (ص) في امامة علي (ع), وانه الامام الاول وهكذا روايات واحاديث اخرى عنه (ص) وعن الامام علي (ع) بشان الامام الثاني , وهكذا كل امام ينبئ بالامام الذي يليه وياتي بعده .
وبمقتضى هذه النصوص , فان ائمة الاسلام اثنا عشر بالترتيب التالي :
١ ـ علي بن ابي طالب .
٢ ـ الحسن بن علي .
٣ ـ الحسين بن علي .
٤ ـ علي بن الحسين .
٥ ـ محمد بن علي .
٦ ـ جعفر بن محمد.
٧ ـ موسى بن جعفر.
٨ ـ علي بن موسى .
٩ ـ محمد بن علي .
١٠ ـ علي بن محمد.
١١ ـ الحسن بن علي .
١٢ ـ المهدي (عليهم السلام اجمعين).
.٨

موجز عن حياة الائمة الاثنى عشر

الامام الاول :

اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب , وابوطالب شيخ بني هاشم وعم النبي الاكرم (ص), وقد ربى محمدا في حجره , وبعد ان بعث بالرسالة , كان مدافعا عنه , يصونه شرالمشركين وخاصة قريش .
ولد علي ـ على اشهر الروايات ـ قبل البعثة النبوية بعشر سنوات , وعندما اصاب مكة واطرافها الجدب , كان عمره آنذاك ست سنوات , فاقترح النبي (ص) ان ينتقل من بيت ابيه ((ابي طالب)) الى بيت ابن عمه الرسول العظيم , ليصبح في كنف مرسل السماوتحت رعايته .
نال محمد بعد سنوات عدة مقام النبوة , وقد اوحى اليه لاول مرة وهو في غار((حرا)) فرجع الى بيته , واخبر عليا بما جرى عليه , فمن علي به .
وقد دعا النبي (ص) عشيرته الاقربين الى دينه الجديد, قائلا: ((من يؤازرني على هذا الامر, يكن وصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي)).
فلم يستجب احد لهذه الدعوة الا علي , حيث قام وقال : انا يا رسول الله , فقبل الرسول (ص) ايمانه , واقر بما وعده اياه , فهو اول من اسلم وقبل الاسلام من الرجال وآمن به , وهو لم يعبد الا الله سبحانه .
كان علي يرافق النبي (ص) دوما, الى ان هاجر من مكة الى المدينة , وفي ليلة الهجرة , عندما حوصر بيت النبي (ص) وكانوا قد جهزوا الحملة للهجوم على بيت النبوة والرسالة , وقتل النبي (ص) في فراشه ,

استقر علي في فراش الرسول (ص), وخرج الرسول مهاجرا الى يثرب , فرد علي الامانات الى اهلها حسب ما اوصى به النبي (ص),وتوجه الى يثرب مع امه , وزوجتي الرسول مع ابنته .
كـان عـلـي بن ابي طالب ملازما للرسول الاكرم (ص) لايفارقه , وزوجه النبي (ص) ابنته فاطمة سلام الله عليها.
لما اقام النبي عقد الاخوة واحلها بين اصحابه , جعل عليا اخا له .
كان علي (ع) يحضر جميع غزوات النبي (ص) عدا غزوة تبوك , اذ استخلفه الرسول في المدينة , فلـم يـتراجع في جميع تلك الغزوات من مواجهة الخصم , ولم يخالف النبي (ص) في امر وقد قال النبي (ص) في حقه عليه السلام : ((علي من الحق والحق مع علي)).
كـان عـمره الشريف يوم توفي الرسول العظيم ثلاثا وثلاثين سنة , فنحي عن منصب الخلافة , علما بانه كان منارا لجميع المثل الانسانية , يمتاز على اقرانه وصحابة الرسول (ص).
وقد تمسك المخالفون باعذار منها, انه شاب لا تجربة له في الحياة , وانه قد قتل صناديد العرب عند محاربة الكفار وهو في ركاب الرسول الاعظم (ص), فاستطاعوابهذه الحجج الواهية ان يجعلوه بـمـنـاى وبمعزل عن الخلافة , وقيادة شؤون المسلمين العامة , فانعزل عن المجتمع , واصبح جليس داره , وشـرع بتربية الخاصة من اصحابه ,وبعد مضي خمس وعشرين سنة , وهي الفترة التي حكم فـيـها الخلفا الثلاثة بعد الرسول (ص), وبعد مقتل الخليفة الثالث , اتجهت الامة الاسلامية الى علي (ص) وبايعوه بالخلافة .
كـان عـلـي (ص) طـوال حكومته والتي لم تدم اكثر من اربع سنوات وتسعة اشهريسير على نـهج الـرسـول (ص) واتـصـفـت خـلافته بلون من الثورية اذ قام باصلاحات ادت بالاضرار الى بعض الـمـنـتـفـعين , فنجد اعلام المعارضة ترتفع , وسيوف المعارضين , تشهر,يتقدمهم طلحة والزبير ومعاوية وعائشة فجعلوا مقتل عثمان ذريعة لنواياهم السيئة ,فقاموا باعمال مضللة .
والامـام عـلـي (ع) اسـتـعد للحرب للقضا على الفتنة , وقد جهزت ام المؤمنين جيشا وكان طلحة والزبير خير من يعينها وينـهض معها بالامر وقع القتال بين الطرفين على مقربة من البصرة , اشتهرت الواقعة بحرب الجمل .
وقـام الامام ايضا بحرب مع معاوية في الحدود العراقية الشامية , عرفت بحرب بصفين , واستغرقت سنة ونصف السنة , وشغل بحرب مع الخوارج في النهروان , اشتهرت بحرب النهروان .
ويـمـكـن الـقـول بان معظم تلك الفترة التي حكم فيها الامام علي (ع) قد صرفت لرفع الاختلافات الداخلية , وبعدها اصيب بضربة على يد احد الخوارج في مسجدالكوفة , وذلك صبيحة اليوم التاسع عشر من رمضان المبارك لسنة ٤٠ للهجرة , واستشهديوم الواحد والعشرين من الشهر نفسه .
والـتـاريـخ يشهد ان عليا اميرالمؤمنين (ع) لم تكن تنقصه صفة من الكمالات الانسانية , ويؤيد هذا الادعا كل عدو وصديق فكان مثلا رائعا في الفضائل والمثل الاسلامية , ونموذجا حيا كاملا لتربية الرسول (ص).
ولا نـعـدو الـحـقـيقة اذا قلنا ان الكتب التى تناولت هذه الشخصية الفذة سوا لدى الشيعة او السنة وغيرهم من المحققين , لم تتناول اية شخصية اخرى بهذا القدر في الحياة البشرية .
كان علي ـ عليه السلام ـ, اعلم الصحابة , بل اعلم المسلمين , وهو اول من فتح باب الاستدلال الحر في المسائل العلمية , واستعان بالبحوث الفسلفية في المعارف الالهية , وتكلم عن باطن القرآن , ووضع قواعد اللغة العربية حفاظا على الفاظ القرآن الحكيم , وكان افصح العرب بيانا, وابلغهم خطابا (كما اشـرنـا فـي الفصل الاول من الكتاب) وكان يضرب به المثل في شجاعته , ولم يدع للقلق او الخوف طريقا الى قلبه ,في كل تلك الغزوات والحروب التي مارسها واشترك فيها.
والـتـاريـخ الاسـلامي لا يزال يحمل في طياته خبر الصحابة والمقاتلين في الغزوات , وقد انتابهم الـفزع والخوف , وقد تكررت هذه الحالة في اكثر من واقعة , كحرب ((حنين)) و ((خيبر)) و ((الخندق)) اذ انـهزم الجيش امام الاعدا, ولكن الامام كان يتصدى لحملات العدو, ولم يسلم كل من نـازل الامام من ابطال العرب ومحاربيهم , فكان على العاجز عطوفا, يترك قتله , ولم يعقب على الفار من ساحة الحرب , ولم يغافل العدوساعة الهجوم عليه , ولم يقطع الما على الاعدا.
ومـمـا اتـفقت عليه كتب التاريخ انه عليه السلام , في معركة خيبر, تناول حلقة الباب , واقتلع الباب وهزه هزة ثم رمى به جانبا.
ومـمـا يـنـقل ايضا, يوم فتح مكة , عندما امر الرسول العظيم تحطيم الاصنام , كان هناك صنم يدعى (هبل) اكبر الاصنام وزنا, واشدها ضخامة , كان قد وضع فوق الكعبة ,صعد علي على اكتاف النبي (ص) بامر منه , ورمى ب((هبل)) الى الارض .
لم يكن له ند في تقواه وعبادته , كان الرسول (ص) يرد على الذين يحاولون النيل منه بقوله (ص): ((لا تسبوا عليا فانه ممسوس في ذات الله)).
وذات يوم , راى الصحابي الجليل ابوالدردا عليا (ع) في احدى ضيعات المدينة فظن انه ميت لما راى مـن عـدم الـحـركة وسكون الجسم , فرجع مسرعا الى دارفاطمة وانباها بالحدث , وعزاها بوفاة زوجـهـا, فـاجـابته

فاطمة (ع) انه لم يمت , بل انه مغشي عليه من شدة خوفه من الله سبحانه في عبادته وطاعته , وما اكثر ما كانت تنتابه هذه الحالة .
وما اكثر القصص والروايات التي تشير اليه رافته وعطفه بالفقرا والمساكين والمستضعفين , فكان ينفق مما يحصل على المحتاجين في سبيل الله تعالى , وهو يعيش عيشه خشنة .
كان يرغب في الزراعة , وغالبا ما كان يهتم بحفر الابار, وعمران الاراضي الموات يتشجيرها, وكان يجعلها وقفا للفقرا والبائسين .
فكانت تطلق على كل هذه الموقوفات , (صدقات علي) وكانت لها عوائد جمة ,وكانت تقدر هذه الموقوفات ب(اربعة وعشرين رطلا ذهبا) في السنوات الاخيرة من عهده عليه السلام .

الامام الثاني :

الامام الحسن المجتبى واخوه الحسين عليهما السلام , ولدا اميرالمؤمنين علي (ع) من فاطمة الزهرا سلام الله عليها, بنت الرسول الكريم (ص).
وقد قال النبي (ص) مرارا ان الحسن والحسين ولداي , واحتراما لهذا القول كان علي (ع) يقول لولده , انتم اولادي , والحسن والحسين ولدا رسول الله (ص).
ولد الحسن (ع) في المدينة السنة الثالثة من الهجرة , وعاصر جده الرسول (ص)مدة تزيد على سبع سنوات , كان يتمتع برعاية جده وعطوفته , وقد توفيت امه فاطمة سيدة النسا بعد وفاة جده , بثلاثة او ستة اشهر, فتعهد والده بتربيته .
وبعد استشهاد ابيه علي (ع) نال مقام الامامة الشامخ , وما ذلك الا بامر من الله العلي العليم , وعملا بوصية الامام علي (ع), فاحتل مقام الخلافة ظاهرا, وعمل في ادارة المسلمين , طوال ستة اشهر.
جهز معاوية الجيش لمحاربة الحسن , بعد ان قضى فترة في الحرب مع ابيه الامام علي (ع), وكان من الد اعدا آل علي بعد استشهاد الامام علي , (فحارب بحجة الثار لدم عثمان ابتدا وبعد ذلك صرح ب(الخلافة) وجه الجيش الى الكوفة , حيث مقرخلافة الامام الحسن (ع), واستطاع ان يكسب قواد الامام بالتطميع بالمال , او الوعدبالمقام والجاه , فاغوى بهذا عددا من رؤسا وقواد الجيش , تاركين خلفهم امامهم ,متجهين نحو معاوية وثرواته .
وفي نهاية الامر اجبر الامام الحسن (ع) على الصلح , واحال الخلافة الظاهرية بالشروط التي اشترطها الى معاوية , منها ان تكون الخلافة للحسن بعد وفاة معاوية , وان يصان شيعته وعشيرته من اي تعرض او اعتدا وبهذا استطاع معاوية ان ياخذ بزمام الامور, ثم دخل العراق , واعلن الغاه لشروط الصلح التي ابرمها بالامس مع الامام الحسن , وذلك في اجتماع عام للمسلمين , واباح اقسى انواع الاضطهاد والشدة لاهل بيت النبي (ص) والشيعة خاصة .
عاش الامام الحسن طوال مدة امامته (عشر سنوات) حياة ملؤها الشدة والاختناق , ولم يكن بمامن حتى في بيته مع عائلته واهل بيته , فاستشهد على يدزوجته اذ دست اليه السم بايعاز من معاوية , وذلك سنة ٥٠ للهجرة النبوية .
كان الحسن مثالا فذا لجده (ص) ونموذجا كاملا للخلق الابية لابيه , فكان واخوه الحسين ملازمين للنبي (ص), وكان يحملهما على كتفه احيانا.
ومما يروى عن العامة والخاصة , ان الرسول الاكرم (ص) قال : الحسن والحسين امامان قاما او قعدا, (اشارة الى تصدي الخلافة او التخلي عنها) والروايات عن الرسول (ص) وعلي (ع) متوافرة بامامة الحسن بعد ابيه عليهما السلام .

الامام الثالث :

الامام الحسين (سيد الشهدا) ثاني ولد علي (ع) من فاطمة بنت النبي الكريم (ص).
ولد في السنة الرابعة الهجرية , وبعد استشهاد اخيه الحسن المجتبى , وصلت اليه الامامة بامر من الله جل شانه , ووفقا للوصية .
تعتبر مدة امامة الامام الحسين (ع) عشر سنوات , عاشها مضطهدا, سوى الستة اشهر الاخيرة من عهده معاوية , فاعطت الشعائر الدينية محلها الى ما كانت تتمناه الحكومات من ظلم وجور وفسق وفجور, خلافا لما يريده الله ورسوله ومعاوية قداستخدم شتى الطرق والوسائل لتصفية اهل البيت , وكان يستعين باعوان وانصار له في تحقق هذا الامر فحاول طمس اسم علي وآل علي ومهد السبل لخلافة ابنه يزيد, فهياالمقدمات اللازمة التي لابد من اتخاذها لتحكيم الموقف , وان كانت هناك فئة معارضة لما شاهدوه من فجور يزيد وفسقه الا انهم لم يسلموا من غضب معاوية وسخطه , فوجه اليهم ضربات قاصمة .

فالحسين (ع) عاصر هذه الظروف الحالكة , وتحمل كل اذى من قبل معاوية واتباعه , حتى جا منتصف سنة ستين للهجرة , التي مات فيها معاوية , مخلفا ابنه يزيد.
كانت البيعة سنة عربية تجري في امور مهمة كالملوكية والامارة وما شابه ,فيتقدم السادة وكبار القوم بمد يد البيعة والطاعة للملك او الامير, وكان يعتبر التخلف عن البيعة عارا, وتخلفا عن معاهدة رسمية , والبيعة كانت معتبرة في زمن النبي (ص),وسيرته تؤيد ذلك , هذا اذا كانت تتصف بصفة الاختيار دون الاجبار والاكراه .
لقد اخذ معاوية البيعة من شرفا القوم ورؤسائهم , الا انه لم يتعرض للحسين (ع), ولم يحمله بيعة يزيد, وقد اوصى يزيد بعدم التعرض للحسين بن علي , اذا امتنع من البيعة له , فكان معاوية اكثر حنكا في الامور, وكان يرى العقبات التي تترتب عليه هذاالامر.
ولكن يزيد لما كان يتصف به من انانية , نسي وصية ابيه , فامر والي المدينة بعدوفاة ابيه معاوية ان ياخذ البيعة من الحسين , او يرسل براسه اليه .
وبعد ان ابلغ والي المدينة بامر يزيد, ونقله الى الامام الحسين (ع) طلب الحسين (ع) مهلة لدراسة الموضوع , فخرج من المدينة في تلك الليلة , متجها الى مكة , والتجابالكعبة التي هي مامن للمسلمين .
هذا ما حدث اواخر شهر رجب , واوائل شهر شعبان من سنة ستين للهجرة ,والحسين قد قضى ما يقارب الاربعة اشهر في مكة , في حالة اللجوْ انتشر النبا هذا شيئافشيئا, حتى عم جميع البلدان الاسلامية , فايد الحسين جمع من الامة الاسلامية , لماشاهدوه من ظلم وتعسف في زمن معاوية وابنه يزيد.
هذا من جهة , ومن جهة اخرى , فقد انهالت الرسائل الواردة من العراق , وخاصة الكوفة على الحسين بن علي , تطلب منه ان يتجه الى العراق , ليصبح قائدا لهم , وتتم على يده ازالة معالم الظلم والجور, ومن الطبيعي ان يشعر يزيد بخطورة الموقف .
مكث الحسين في مكة حتى موسم الحج , فكانت تفد جماعات من المسلمين لادا الفريضة .
علم الحسين بان هناك من اعوان يزيد وعملائه قد وصلوا مكة وهم يرتدون ردا الاحرام , وقد اخفوا تحته السلاح , لقتله حين قيامه بادا فريضة الحج .
قرر الحسين مغادرة مكة متجها الى العراق , فوقف خطيبا بين جمع غفير من المسلمين , فاوجز في خطبته واعلمهم بسفره الى العراق , واشار باستشهاده في هذاالطريق , وطلب العون منهم , في سبيل اهدافه المقدسة , والا يتوانوا في نصرته ونصرة الاسلام , دين الله الحنيف , وغداة ذلك اليوم , سلك طريق العراق مع اهله وعياله , ونفرمن شيعته واصحابه .
لقد صمم الحسين على عدم البيعة ليزيد, وهو على علم بان الطريق هذا سينتهي به الى الاستشهاد وكان يعلم ان الجيش الاموي يتصف بالعدة والعدد, وانه مؤيد من قبل عامة الناس وخاصة اهل العراق .
جات اليه جماعة ممن لهم صلة به , فذكروا له خطورة الموقف والسفر الذي هوعازم عليه , والنهضة التي هو قائدها, فاجابهم الحسين (ع), انني لن ابايع يزيدا, ولااقربحكومة جائرة , واني على علم بانهم يريدون قتلي اينما اقمت , وما تركي لهذه البقعة المكرمة الا حرمة لهذا المكان المقدس (بيت الله الحرام), والا تهتك حرم الله تعالى ,باهراق دمي .
سار الحسين الى العراق , وفي طريقه , وصله نبا مقتل رسوله ومبعوثه الى الكوفة مسلم بن عقيل (ع), مع احد من شيعته , على يد والي يزيد, وقد امر الوالي بعد قتلهما ان تربط ارجلهم بالحبال , ويدار بهما شوارع الكوفة وازقتها.
فكانت الكوفة وضواحيها, تحت مراقبة شديدة من قبل الاعدا, تنتظر قدوم الحسين , والامارات دالة على قتله لا محالة وهنا اعلن الحسين مصرحا بنبا قتله دون تردد, واستمر في سيره .
حوصر الحسين (ع) ومن معه من قبل الجيش الاموي , على مسافة سبعين كيلومترا من مدينة الكوفة , في منطقة تسمى (كربلا) فكانت تضيق دائرة الحصار على هؤلا, ويزداد الجيش الاموي عددا وعدة , وآل الامر الى ان يستقر الامام مع القلة من اصحابه في محاصرة من قبل ثلاثين الفا من الاعدا.
حاول الامام في هذه الايام , ان يحكم موقفه , فاخرج من جنده من اخرج , وامربان يجتمع الاصحاب , فاجتمعوا, فقال الامام (ع) في خطاب بهم , ان القوم لم يريدوا الاقتلي , وانا رافع بيعتي عنكم , فمن اراد منكم الفرار, فليتخذ الليل له سترا, وينجو بنفسه من الفاجعة الموحشة التي تتربص بنا.
فامر باطفا الضيا, وتفرق جمع كثير ممن كان معه , الذين لم تكن اهدافهم سوى المادة والقضايا المادية , ولم يبق معه الا مريدو الحق ومتبعو الحقيقة , وهم مايقارب من اربعين شخصا, وعدد من بني هاشم , وللمرة الثانية , جمع الامام الحسين (ع)اصحابه , فخطب فيهم قائلا:
اللهم اني احمدك على ان كرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين ,وجعلت لنا اسماعا وابصارا وافئدة فاجعلنا من الشاكرين .

اما بعد, فاني لا اعلم اصحابا اوفى ولا خيرا من اصحابي , ولا اهل بيت ابر ولااوصل من اهل بيتي , فجزاكم الله عني خيرا, الا واني لا اظن يوما لنا من هؤلا, الا واني قد اذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني زمام , هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا.
فقال له اخوته وابناؤه وبنو اخيه وابنا عبدالله بن جعفر, لم نفعل ذلك ؟ لنبقي بعدك قال بعضهم : ما نفعل ذلك , ولكن نفديك بانفسنا واموالنا واهلينا, ونقاتل معك حتى نرد موردك , فقبح الله العيش بعدك .
فقام مسلم بن عوسجة خطيبا, قال : انحن نخلي عنك وبما نعتذر الى الله في اداحقك ؟ اما والله حتى اطعن في صدورهم برمحي واضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي , ولو لم يكن معي سلاح اقاتلهم به , لقذفتهم بالحجارة , والله لا نخليك حتى يعلم الله انه انا قد حفظنا غيبة رسوله فيك , اما والله , لو قد علمت اني اقتل ثم احيا, ثم احرق ثم احيا, ثم اذرى , يفعل ذلك بي سبعين مرة , ما فارقتك حتى القى حمامي (الموت)دونك , وكيف لا افعل ذلك , وانما هي قتلة واحدة , ثم هي الكرامة التي لا انقضا لها ابدا.
وصل الانذار الى الامام في عصر يوم التاسع من محرم (اما البيعة او القتال) من جانب العدو فطلب الامام المهلة لتلك الليلة لغرض العبادة , وقرر القتال ليوم غد.
وفي يوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هق استعد الامام مع جمعه القليل (لايتجاوز عددهم تسعين شخصا, اربعون ممن جاوا معه , ونيف وثلاثون التحقوا بالامام في ليلة الحرب ونهارها من جيش الاعدا, والبقية كانوا من الهاشميين , بما فيهم ولده واخوته وابنا اخوته وابنا اخواته وابنا عمومته) استعدوا في معسكر واحد امام العددالغفير من جيش الاعدا, فاشتعلت نار الحرب .
حارب هؤلا من الصباح الباكر حتى الظهيرة , واستشهد الامام مع سائر الفتية الهاشميين , فلم يبق منهم احد, (وكان بين القتلى طفلان للامام الحسن وطفل ورضيع للامام الحسين).
اغار الجيش بعد انتها الحرب على حرم الامام , واشعلوا النيران في مخيماتهم وحزوا رؤوس الشهدا وسلبوا ما على ابدانهم من ردا وملابس , وتركوا الاجساد عارية على الارض , دون ان يواروهم في التراب , ثم ساروا باهل بيت الامام (حرمه) زوجاته وبناته اللواتي لم يكن لهن ماوى مع رؤوس الشهدا الى جانب الكوفة (ولم يكن في الاسرى من الرجال سوى القليل , منهم ابن الامام وهو السجاد شاب في سن الثانية والعشرين , وقد اشتد عليه المرض , وولده في سن الرابعة (محمد بن علي) الامام الخامس , وكان باقيا ايضا الحسن المثنى ابن الامام الثاني , والذي كان صهرا للامام الحسين (ع) وكان قد اصيب بجراح كثيفة في جسمه , وكان طريحا بين القتلى وقدعثروا عليه وهو في آخر رمق من حياته , ولم يقتل بسبب تشفع احد الامرا, وكان من جملة الاسرى الذين جاوا بهم الى الكوفة), ونقلوهم من الكوفة الى دمشق حيث مستقر يزيد.
وقد فضحت ((واقعة كربلا)) وكذا ما قام به هؤلا الاسرى من خطب , وهم ينقلون من بلد الى بلد, في الكوفة والشام منهم بنت الامام اميرالمؤمنين علي (ع)والامام الرابع اللذان كانا من جملة الاسرى , فضحا نوايا بني امية , وكشفا النقاب عما كان يقوم به معاوية طوال سنوات عدة , حتى ادى الامر بيزيد الى ان يستنكر من عماله واعوانه في الملا العام من هذه الواقعة المفجعة .
كانت واقعة كربلا عاملا مؤثرا عجل في ابادة حكومة بني امية , وساعد على ترسيخ مبادئ الشيعة , وكان من نتائجها الحروب الدامية طوال اثني عشر عاما, ومالازمتها من ثورات وانتفاضات , ولم ينج احد ممن ساهم وشارك في مقتل الحسين واصحابه من الانتقام والاخذ بالثار.
وليس هناك ادنى شك لمن يطالع تاريخ حياة الامام الحسين (ع) ويزيد,والاوضاع في ذلك الوقت , ويدقق النظر فيها بانه لم يكن هناك سوى طريق واحد, وهومقتل الحسين (ع) وما كانت نتيجة البيعة مع يزيد الا هتكا لحرمات الاسلام , وهذا ما لم يرض به الامام , لان يزيد لم يحترم الاسلام , ولم يتصف بصفات تجعلة يتقيد او يراعي شيئا منه , ولا يابى بسحق وابادة جميع المقدسات والقوانين الاسلامية .
الا ان اسلافه كانوا يحترمون الشعائر الدينية , ولم يخالفوها في الظاهر, وما كانوايقومون به من اعمال كانت تصطبغ بصبغة دينية , وكانوا يحافظون على المظاهر الدينية ,ويفتخرون بالنبي (ص) وسائر القدوة والزعما الدينيين الذين كانت لهم منزلة لدى الناس .
ومن هنا يتضح ما يعتقده بعض مفسري الحوادث والوقائع التاريخية بان الحسن والحسين عليها السلام كانا يتصفان بصفات متباينة , فالحسن يحبذ الصلح على خلاف الحسين الذي كان يرجح الحرب والقتال , في حين ان الاول اتخذ جانب الصلح مع معاوية مع ما كان يلازمه من جيش تقدر عدته باربعين الفا, والثاني ((الحسين)) نهض بجيشه الذي يراوح عدده الاربعين في القتال مع يزيد, ومن هنا يتضح سقم هذاالتفسير, لاننا نرى الحسين (ع) الذي لم يرضخ تحت حكم يزيد يوما واحدا, كان يعيش مع اخيه الحسن (ع) (في حدود العشر سنوات في حكم معاوية) ولم يعلن الحرب على معاوية ومما لا شك فيه , انا الحسن والحسين اذا كانا يريدان الحرب مع معاوية لكان القتل نصيبهما, فضلا عن ان هذا القتل لا ينفع الاسلام والمسلمين بشي ,ولم يجد اي نفع امام سياسة معاوية , الذي كان يصف نفسه بالصحابي وكاتب الوحي وخال المؤمنين , وما شابه ذلك مما اتخذه كوسيلة وذريعة .

هذا وكان بامكانه ان يقتلهم بايادي مقربيهم , ويبدي حزنه , والانتقام ممن قام بهذا العمل كما فعله مع الخليفة الثالث .

الامام الرابع :

الامام السجاد (علي بن الحسين - ع -) الملقب بزين العابدين والسجاد).
ولد الامام الثالث , من شاه زنان بنت ((يزدجرد ملك ايران)), وهو الولد الوحيدالذي بقي للامام الثالث بعد واقعة كربلا, اذ ان اخوته الثلاثة استشهدوا فيها وقد شهدالواقعة , ولكنه لم يشارك فيها لمرضه , ولم يكن قادرا على حمل السلاح , فحمل مع الاسرى (الحرم) الى الشام .
وبعد ان قضى فترة الاسر, ارجع مع سائر الاسرى الى المدينة , وما ذلك الالجلب رضى عامة الناس .
عندما رجع الامام الرابع الى المدينة , اعتزل الناس في بيته , وتفرغ للعبادة , ولم يتصل باحد سوى الخواص من الصحابة مثل (ابي حمزة الثمالي) و (ابي خالد الكابلي)وامثالهم , ولا يخفى ان هؤلا الخاصة كانوا يوصلون ما يصلهم من الامام من معارف اسلامية الى الشيعة , واتسع نطاق الشيعة عن هذا الطريق , فنرى ثماره في زمن الامام الخامس .
ومما الفه وصنفه الامام الرابع كتاب يحتوي على ادعية تعرف ب(الصحيفة السجادية) وتشتمل على سبعة وخمسين دعا, والتي تتضمن ادق المعارف الالهية ويقال عنها ((زبور آل محمد - ص -)).
كانت مدة امامته عليه السلام خمسا وثلاثين سنة حسب بعض الروايات الشيعية , ودس اليه السم على يد ((الوليد بن عبدالملك)) وذلك بتحريض من هشام ,الخليفة الاموي , سنة ٩٥ للهجرة .

الامام الخامس :

الامام محمد بن علي (الباقر - ع -) ولفظ باقر يدل على تبحره في العلم , وقدمنحه اللقب هذا, النبي الاكرم (ص).
هو ابن الامام الرابع , ولد سنة ٥٧ للهجرة , وكان عمره في واقعة كربلا اربع سنوات , وكان ممن حضرها, نال مقام الامامة بعد والده , بامر من الله تعالى , ووصية اجداده .
وفي سنة ١١٤ او ١١٧ للهجرة (حسب بعض الروايات الشيعية) قتل مسمومابواسطة ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك , ابن اخ هشام الخليفة الاموي , قضت هذه الحادثة على حياته , فمضى شهيدا.
في عهد الامام الخامس , وعلى اثر ظلم بني امية , كانت تبرز ثورات متعاقبة في كل قطر من الاقطار الاسلامية , وشنت الحروب , وكان الاختلاف في حكومة بني امية ظاهرا, هذا ما كان يشغل الحكومة آنذاك , فكانت نتيجتها ان يخفف من التعرض لاهل البيت , هذا من جهة .
ومن جهة اخرى , ما حدث من واقعة كربلا, وما احدثت من مظلومية اهل البيت (ع), متمثلة في الامام الرابع , جعلت المسلمين يتجهون الى اهل البيت , ويبدون حبهم لهم , واخلاصهم اليهم .
فان هذه العوامل مجتمعة ساعدت على ان ينصرف ذهن العامة الى اهل البيت ,فصاروا يتجهون الى المدينة حيث الامام الخامس , وكانت العوامل مساعدة في انتشارالحقائق الاسلامية , علوم اهل البيت على يد الامام الباقر (ع), اذ لم يتحقق لاحد من اجداده , ومما يؤيد هذا الادعا هو كثرة الاحاديث التي نقلت عن الامام الخامس , وكذارجال الشيعة الذين تخصصوا في شتى العلوم الاسلامية على يد امامهم , ولا تزال اسماؤهم في كتب الرجال مدرجة .

الامام السادس :

الامام جعفر بن محمد ((الصادق)) (ع) ابن الامام الخامس , ولد سنة ٨٣ للهجرة ,واستشهد بعد ان دس اليه السم , سنة ١٤٨ للهجرة , وذلك بتحريض من المنصور الخليفة العباسي (وفق الروايات الشيعية).
وفي عهد الامام السادس , وعلى اثر الانتفاضات التي حدثت في الدول الاسلامية , وخاصة قيام ((مسودة)) ضد دولة بني امية للاطاحة بها, والحروب المدمرة التي ادت الى سقوط الدولة الاموية وانقراضها, وعلى اثر كل هذا كانت الظروف مواتية ومساعدة لنشر حقائق الاسلام وعلوم اهل البيت التي طالما ساهم في نشرها الامام الخامس طوال عشرين سنة من زمن امامته , وقد تابع الامام السادس عمله في ظروف اكثر ملامة , وتفهما.
فاستطاع الامام السادس حتى اواخر زمن امامته , والتي كانت معاصرة لاخرزمن خلافة بني امية واوائل خلافة بني العباس استطاع ان يتنهز هذه الفرصة , لبث التعاليم الدينية وتربية العديد من الشخصيات العلمية الفذة في مختلف العلوم والفنون سوا في العلوم العقلية او العلوم النقلية .

ومن اشهر اولئك الذين تتلمذوا عند الامام هم : زرارة , ومحمد بن مسلم , ومؤمن الطاق , وهشام بن الحكم , وابان بن تغلب , وهشام بن سالم , وحريز, وهشام الكلبي النسابة , وجابر بن حيان الصوفي الكوفي , الكيميائى وغيرهم وقد حضر درسه رجال من علما اخواننا السنة , مثل سفيان الثوري وابوحنيفة , مؤسس المذهب الحنفي ,والقاضي المسكوني والقاضي ابوالبختري وغيرهم والمعروف ان عدد الذين حضروامحلس الامام وانتفعوا بما كان يمليه عليهم الامام اربعة آلاف محدث وعالم .
وتعتبر الاحاديث المتواترة عن الامامين الباقر والصادق (ع), اكثر مما رويت عن النبي الاكرم والعشرة من الائمة الهداة .
لكن الامر قد تغير في اخريات حياته , حيث الاختناق والتشديد من قبل المنصور الخليفة العباسي , فقام بايذا السادة العلويين وعرضهم لاعنف انواع التعذيب واقساها وقتل بعضهم , مما لم يشاهد نظيره في زمن الامويين مع ما كانوا يتصفون به من قساوة وتهور.
مارس العباسيون القتل الجماعي للعلويين وذلك بسجنهم في سجون مظلمة ,وتعذيبهم والقضا على حياتهم .
كما انهم قاموا بدفنهم وهم احيا, في اسس الابنية والجدران .
اصدر المنصور امرا طلب فيه جلب الامام السادس من المدينة (وكان الامام قداحضر الى العراق مرة بامر من السفاح الخليفة العباسي , وقبل ذلك قد احضر الى دمشق بامر من هشام الخليفة الاموي , مع الامام الخامس).
بقي الامام مدة من الزمن تحت المراقبة , وقد عزموا على قتله عدة مرات ,وتعرضوا لاذاه , وفي نهاية الامر سمحوا له بالعودة الى المدينة , فرجع , وقضى بقية عمره هناك , مراعيا التقية , منعزلا في داره , حتى استشهد على يد المنصور بدسه السم اليه .
وبعد وصول نبا استشهاد الامام الى المنصور, امر واليه في المدينة ان يذهب الى دار الامام بحجة تفقده لاهل بيته , طالبا وصية الامام ليطلع على ما وصى الامام ومن هوخليفته من بعده , ليقضي عليه ويقتله في الحال ايضا.
وكان المنصور يهدف من ورا ذلك القضا تماما على موضوع ومسالة الامامة والتشيع معا.
ولكن الامر كان خلافا لتمر المنصور, وعندما حضر الوالي وفقا للاوامرالمرسلة اليه , قرا الوصية , ووجد ان الامام قد اوصى لخمس , الخليفة نفسه , والي المدينة وعبدالله الافطح ابن الامام الاكبر وموسى ولده الاصغر وحميدة ابنته , وبهذا بات مؤامرة المنصور بالفشل .

الامام السابع :

الامام موسى بن جعفر (الكاظم) (ع) ابن الامام السادس ولد سنة ١٢٨ للهجرة ,وتوفي سنة ١٨٣ اثر اعطائه السم في السجن , تولى منصب الامامة بعد ابيه بامر من الله ووصية اجداده .
عاصر الامام السابع من الخلفا العباسيين المنصور والهادي والمهدي وهارون ,عاش في عهد مظلم مقرون بالصعوبات , بما كان يبديه من تقية , حتى سافر هارون الى الحج , وتوجه الى المدينة , فالقي القبض على الامام في الوقت الذي كان مشغولابالصلاة في مسجد جده النبي الاكرم (ص) ونقل الى السجن بعد ان قيد بالاغلال , ثم نقل الى البصرة ومنها الى بغداد, وظل ينقل به من سجن لاخر سنوات عدة , وفي نهاية الامر قضي عليه بالسم في سجن السندي بن شاهك , ودفن في مقابر قريش , والتي تسمى اليوم بمدينة الكاظمية .

الامام الثامن :

الامام علي بن موسى (الرضا) (ع) ابن الامام السابع ولد سنة ١٤٨ للهجرة (على اشهر التواريخ) وتوفي سنة ٢٠٣ ه.
نال منصب الامامة بعد ابيه الامام االسابع بامر من الله ونص اجداده , وقد عاصرزمنا هارون الرشيد الخليفة العباسي وبعده ابنه الامين ثم المامون .
بعد وفاة هارون الرشيد, حدث خلاف بين المامون والامين ادى الى حروب بينهما, وكان نتيجتها مقتل الامين واستيلا المامون على عرش الخلافة .
وحتى ذلك الوقت كانت سياسة بني العباس بالنسبة الى السادة العلويين سياسة قاسية , تتمثل بالقتل والابادة , وكانت تزداد شدة وعنفا, وبين فترة واخرى كان يثور ثائرمن العلويين , ودارت وحى حروب دامية , وهذا ما كان يحدث اضطرابا ومشاكل للدولة والخلافة آنذاك .
ومع ان ائمة الشيعة من اهل البيت , لم يكونوا على اتصال بالثائرين , لكن الشيعة مع قلة عددهم في ذلك , اليوم كانوا يعتبرون الائمة هم الهداة الى الدين وانهم مفترضواالطاعة والخلفا الحقيقيون للنبي الاكرم (ص), وكانوا ينظرون الى الدولة والخلافة العباسية انها تمتاز بما كان يمتاز به كسرى وقيصر وانها تساس بيد فئة لا صلة لهابالاسلام وان هذه الاجهزة التي تسوس البلاد بعيدة كل البعد عما يتصف به زعماؤهم الدينيون ,

هذا مما كان يشكل خطرا على الخلافة , ويهددها بالسقوط والزوال .
فكر المامون في هذه المشاكل والفتن , وراى ان يبدي سياسة جديدة , بعد ان كانت سياسة اسلافه طوال سبعين سنة سياسة عقيمة لاجدوى فيها فاظهر سياسته الخادعة بان يجعل الامام الثامن ولي عهد له , وبهذه الطريقة سوف يقضي على كل فتنة ومشكلة , والسادة من العلويين اذا وجدوا لهم مقاما في الدولة فانهم لم يحاولوا الثورة اوالقيام ضدهم , والشيعة ايضا عندما يشاهدون دنو امامهم من الخلافة التي طالما كانوايعتبرونها رجسا والقائمين بامور الخلافة فاسقين , عندئذ سيفقدون ذلك التقديروالاحترام المعنوي لائمتهم الذين هم من اهل البيت , وسرعان ما يسقط حزبهم الديني ,ولا يواجه الخلفا خطرا من هذه الجهة .
ومن البديهي بعد ان يحصل المامون على ما كان يهدف اليه , فان قتل الامام لم يكن بالامر الصعب ولغرض تحقق هذه المؤامرة احضر الامام من المدينة الى مرو,واقترح عليه الخلافة اولا ثم ولاية العهد ثانيا, فاعتذر الامام , ولكنه استخدم شتى الوسائل لاقناع الامام , وافق الامام بشرط الا يتدخل في شؤون الدولة وكذا في عزل اونصب احد من المسؤولين .
هذا ما حدث سنة ٢٠٠ للهجرة ولم تمض فترة حتى شاهد المامون التقدم السريع للشيعة , وتزايد ارتباطهم وعلاقتهم بالنسبة للامام , وحتى العامة من الناس ,والجيش ومسؤولي شؤون الدولة عندئذ التفت المامون الى خطورة خطئه , وحاول ان يقف امام هذا التيار, فقتل الامام بعد ان دس اليه السم .
دفن الامام الثامن بعد استشهاده في مدينة (طوس) في ايران , وتعرف اليوم بمدينة مشهد.
كان المامون يبدي عنايته ورعايته لترجمة العلوم العقلية الى اللغة العربية , وكان يقيم المجالس العلمية , التي يحضرها علما الاديان والمذاهب , وتجري فيهاالمناظرات العلمية , والمامون ايضا كان يشارك في هذه المجالس , ويشترك في مناظرات علما الاديان والمذاهب , وقد دونت العديد منها في كتب احاديث الشيعة .

الامام التاسع :

الامام محمد بن علي - ع - (التقي , ويلقب بالامام الجواد او ابن الرضا احيانا)ابن الامام الثامن , ولد في المدينة سنة ١٩٥ ه واستشهد (سنة ٢٢٠) بتحريض من المعتصم الخليفة العباسي على يد زوجته بنت المامون , ودفن الى جوار جده الامام السابع في مدينة الكاظمية .
حاز درجة الامامة الرفيعة بامر من الله ووصية اجداده , وكان الامام التاسع في المدينة عندما توفي ابوه الامام الثامن , احضره المامون الى بغداد عاصمة خلافته آنذاك ,والظاهر ان المامون ابدى احترامه وعطفه للجواد, وزوجه ابنته , وابقاه عنده في بغداد,وفي الحقيقة اراد ان يراقب الامام من الخارج والداخل مراقبة كاملة .
مكث الامام التاسع زمنا في بغداد, ثم طلب من المامون الرحيل الى المدينة ,وبقي فيها (المدينة) حتى اواخر عهد المامون , وفي زمن المعتصم الذي استخلف المامون , احضر الامام الجواد الى بغداد مرتين , وكان تحت المراقبة الشديدة , وفي النهاية - كما ذكر - استشهد بدس السم اليه بتحريض من المعتصم على يد زوجة الامام .

الامام العاشر:

الامام علي بن محمد - ع - (النقي ويلقب بالهادي ايضا) ابن الامام التاسع , ولدسنة ٢١٢ ه في المدينة , واستشهد سنة ٢٥٤ ه(وفقا للروايات الشيعية) بامر من المعتزالخليفة العباسي .
عاصر الامام سبعا من خلفا بني العباس : المامون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز.
وفي عهد المعتصم سنة ٢٢٠ ه عندما استشهد ابوه في بغداد بواسطة السم الذي دس اليه , كان الامام العاشر في المدينة , نال منصب الامامة بامر من الله تعالى ووصية اجداده , فقام بنشر التعاليم الاسلامية حتى زمن المتوكل .
ارسل المتوكل احد الامرا الى المدينة لجلب الامام من هناك الى سامراحاضرة حكومته وذلك سنة ٢٤٣ اثر وشاية بعض الاعدا وكتب الى الامام رسالة يظهرفيها احترامه وتقديره له , مطالبا فيها التوجه الى العاصمة وبعد وصول الامام الى سامرالم يكن هناك ما يجلب النظر من تضييق على الامام في بداية الامر الا ان الخليفة سعى في اتخاذ شتى الطرق والوسائل لايذا الامام , وهتك حرمته , فقام رجال الشرطة بتفتيش دار الامام بامر من الخليفة .
كان المتوكل اشد عدا لاهل البيت من سائر خلفا بني العباس , وخاصة بالنسبة للامام علي بن ابي طالب عليه السلام , وكان يعلن عداه وتنفره لعلي , فضلا عن الكلام البذي الذي كان يتفوه به احيانا وكان قد عين مهرجا يقلد اعمال الامام علي (ع) في مجالسه ومحافله , ويستهزي وينال من تلك الشخصية العظيمة .

وامر بتخريب قبة الامام الحسين وضريحه والكثير من الدور المجاورة له , وامرباغمار الحرم الطاهر والقبر الشريف بالمياه , وابدلت ارضها الى ارض زراعية كي يقضواعلى جميع معالم هذا المرقد الشريف .
وفي زمن المتوكل اصبحت حالة السادة العلويين في الحجاز متدهورة يرثى لها,كانت نساؤهم تفتقر الى ما يسترها والاغلبية منها كانت تحتفظ بعباة بالية , يتبادلنها في اوقات الصلاة لاجل اقامتها وكان الوضع لا يقل عن هذا في مصر بالنسبة الى السادة العلويين .
كان الامام العاشر متحملا صابرا لكل انواع هذا الاضطهاد والاذى وبعد وفاة المتوكل جا كل من المنتصر والمستعين والمعتز الى منصة الخلافة , واستشهد الامام بامر من المعتز الخليفة العباسي .

الامام الحادي عشر:

الامام الحسن بن علي (ع) (العسكري) ابن الامام العاشر ولد سنة ٢٣٢ ه وفي سنة ٢٦٠ ه(وفقا لبعض الروايات الشيعية) دس اليه السم بايعاز من المعتمد الخليفة العباسي , وقضى نحبه مسموما.
الامام الحادي عشر جا الى مقام الامامة بعد ابيه بامر من الله تعالى وحسب ماوصى به اجداده الكرام وطوال مدة خلافته التي لا تتجاوز السبع سنين كان ملازماالتقية , وكان منعزلا عن الناس حتى الشيعة , ولم يسمح الا للخواص من اصحابه بالاتصال به , مع كل هذا فقد قضى زمنا طويلا في السجون .
والسبب في كل هذا الاضطهاد هو:
اولا: كان قد وصل عدد الشيعة الى حد يلفت الانظار, وان الشيعة تعترف بالامامة , وكان هذا الامر واضحا جليا للعيان , وان ائمة الشيعة كانوا معروفين , فعلى هذاكانت الحكومة آنذاك تتعرض للائمة اكثر من ذي قبل وتراقبهم , وكانت تسعى للاطاحة بهم وابادتهم بكل الوسائل الخفية .
ثانيا: قد اطلعت الدولة العباسية على ان الخواص من الشيعة تعتقدان هناك ولدللامام الحادي عشر, وطبقا للروايات التي تنقل عن الامام الهادي , وكذا من اجداده ,يعرفونه ب(المهدي الموعود) وقد اخبر عنه النبي الاكرم (ص) بموجب الروايات المتواترة عن الطريقين العامة والخاصة , ويعتبرونه الامام الثاني عشر لهم .
ولهذا السبب كان الامام الحادي عشر اكثر مراقبة من سائر الائمة , فصمم خليفة الوقت ان يقضي على موضوع الامامة عند الشيعة بكل وسيلة تقتضي الضرورة لذلك ,وبهذا يغلق هذا البحث الذي طالما كان مثارا لازعاجهم .
ولما سمع المعتمد الخليفة العباسي بمرض الامام الحادي عشر ارسل اليه الاطبا مع عدد من القضاة ومن يعتمد عليهم كى يراقبوا الامام عن كثب وما يجري في داره , وبعد استشهاد الامام ووفاته , فتشوا البيت بدقة , وفحصوا الجاريات اللواتي كن يخدمن في بيت الامام بواسطة الممرضات (القابلات), وبقوا يبحثون عن خلف للامام لمدة سنتين حتى استولى عليهم الياس .
دفن الامام الحادي عشر بعد وفاته في داره في مدينة سامرا بجوار مدفن ابيه .
ولا يخفى ان ائمة اهل البيت طوال حياتهم عل موا وربوا العديد من العلماوالمحدثين , اذ يصل عددهم المئات , ومراعاة للاختصار لم نستعرض فهرست اسماهؤلا ومؤلفاتهم والاثار العلمية التي تركوها, وشرحا لاحوالهم .

الامام الثاني عشر:

الامام المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف (ويذكر بامام العصروصاحب الزمان غالبا) ابن الامام الحادي عشر, اسمه يطابق النبي الاكرم (ص) ولد في سامرا سنة ٢٥٥ او ٢٥٦ ه.
وكان يعيش تحت رعاية والده حتى سنة ٢٦٠ ه حيث استشهاد والده , وكان مختفيا عن انظار العامة , ولم يفلح احد بلقائه والاتصال به الا الخواص من الشيعة .
وبعد استشهاد والده , انيطت به مهمة الامامة , وبامر من الله تعالى , اختار الغيبة ,ولم يظهر للعيان الا مع نوابه الخواص وفي موارد استثنائية .

النواب الخواص

عين الامام المهدي - عج - عثمان بن سعيد العمري نائبا خاصا له والذي كان من اصحاب جده وابيه وكان ثقة امينا, وكان الامام يجيب على اسئلة الشيعة عن طريق هذا النائب الخاص .
وبعد عثمان بن سعيد استخلف ابنه محمد بن عثمان , وبعد وفاة محمد بن عثمان العمري , استناب اباالقاسم حسين بن روح النوبختي .
وبعد وفاة حسين بن روح النوبختي اصبح علي بن محمد السمري نائبا خاصاللامام المهدي وفي اخريات

حياة علي بن محمد السمري , اذ لم يبق من حياته سوى ايام قلائل (سنة ٣٢٩ ه), صدر توقيع من الناحية المقدسة , فيه ابلاغ لعلي بن محمدالسمري بانه سيموت ويودع هذه الحياة بعد ستة ايام , وبعدها تنتهي النيابة الخاصة ,وتقع الغيبة الكبرى , وستستمر حتى ياذن الله تعالى بالظهور وحسب هذا التوقيع تنقسم غيبة الامام الى قسمين : الاول : الغيبة الصغرى , بدات سنة ٢٦٠ ه وانتهت في سنة ٣٢٩,واستمرت حوالي سبعين عاما الثاني : الغيبة الكبرى , والتي بدات سنة ٣٢٩, وستستمرحتى ياذن الله تعالى ويروى عن النبي الكريم (ص) في حديث متفق عليه (لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من امتي ومن اهل بيتي يواطي اسمه اسمي يملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما).
.٩

بحث في ظهور المهدي (عج) من وجهة نظر العامة

وكما اشرنا في بحث النبوة والامامة , وفقا لقانون الهداية العامة الجارية في جميع انواع الكائنات , فالنوع الانساني منه مجهز بحكم الضرورة بقوة (قوة الوحي والنبوة)ترشده الى الكمال الانساني والسعادة النوعية , وبديهي ان الكمال والسعادة لو لم يكونا امرين ممكنين للانسان الذي تعتبر حياته حياة اجتماعية , لكان اصل التجهيز لغواوباطلا, ولا يوجد لغو في الخلقة مطلقا.
وبعبارة اخرى , ان البشر منذ ان وجد على ظهر البسيطة كان يهدف الى حياة اجتماعية مقرونة بالسعادة , وكان يعيش لغرض اوصول الى هذه المرحلة , ولم لم تتحقق هذه الامنية في الخارج , لما منى الانسان نفسه بهذه الامنية فلو لم يكن هناك غذا لم يكن هناك جوع , واذا لم يكن هناك ما, لم يكن عطش واذا لم يكن تناسل , لم تكن علاقة جنسية .
فعلى هذا وبحكم الضرورة (الجبر) فان مستقبل العالم سيكشف عن يوم , يهيمن فيه العدل والقسط على المجتمع البشري , ويتعايش ابنا العالم في صلح وصفا ومودة ومحبة , تسودهم الفضيلة والكمال .
وطبيعي ان استقرار مثل هذه الحالة بيد الانسان نفسه , والقائد لمثل هذا المجتمع سيكون منجي العالم البشري , وعلى حد تعبير الراويات سيكون (المهدي).
ونجد الاديان والمذاهب المختلفة القائمة في العالم مثل الوثنية , واليهودية والمسيحية والمجوسية والاسلام تبشر بمصلح ومنج للبشرية , وان اختلفت في تصوره ,وما حديث النبي الكريم (ص), المتفق عليه (المهدي من ولدي) الا اشارة الى هذاالمعنى .
.١٠

بحث في ظهور المهدي (عج) من وجهة نظر الخاصة

الشيعة في الاسلام .
فضلا عن الروايات المتزايدة عن طريق العامة والخاصة , والتي تروى عن النبي الاكرم (ص) وائمة اهل البيت (ع) في ظهور المهدي (ع) وانه من سلالة النبي (ص), ومع ظهوره , سيؤدي بالمجتمع البشري الى كماله الواقعي والحقيقي , وسيمنحه الحياة المعنوية , فان هناك روايات متضافرة اخرى تشير الى ان المهدي هو ابن الامام الحسن العسكري (الامام الحادي عشر) بلافصل , و بعد الغيبة الكبرى سيظهر, و يملا الارض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا.

رد على الشبهات

يعترض مخالفوا الشيعة بانه وفقا لاعتقاد هذه الطائفة , يجب ان يكون عمرالامام الغائب ما يقرب من اثني عشر قرنا, في حين ان الانسان لايستطيع ان يعمر هكذا.
الجواب : الاعتراض هذا مبني على الاستبعاد, وان العمر الطويل كهذا يستبعد,لكن الذي يطالع الاخبار الواردة عن الرسول الاعظم في خصوص الامام الغائب , وكذاعن سائر ائمة اهل البيت (ع) سيلاحظ ان نوع الحياة للامام الغائب تتصف بالمعجزة خرقا للعادة , وطبيعي ان خرق العادة ليس بالامر المستحيل ولا يمكن نفي خرق العادة عن طريق العلم مطلقا.
لذا لا تنحصر العوامل و الاسباب التي تعمل في الكون في حدود مشاهدتناوالتي تعرفنا عليها, ولا نستطيع نفي عوامل اخرى وهي بعيدة كل البعد عنا ولا علم لنابها, او اننا لا نرى آثارها واعمالها, او نجهلها من هذا يتضح امكان ايجاد عوامل في فرداو افراد من البشر بحيث تستطيع تلك العوامل ان تجعل الانسان يتمتع بعمر طويل جداقد يصل الى الالف او آلاف من السنوات , فعلى هذا فان عالم الطب لم ييأس حتى الان من كشف طرق لاطالة عمر الانسان .

وهذا الاعتراض يصدر من الذين يعتقدون بالكتب السماوية كاليهودية والمسيحية والاسلام وفقا لكتبهم السماوية , ويقرون بالمعجزات وخرق العادات التي كانت تتحقق بواسطة انبيا الله تعالى , بشكل يثير الاعجاب والاستغراب .
يعترض مخالفوا الشيعة من ان الشيعة تعتبر لزوم وجود الامام لبيان احكام الدين وحقائقه , وارشاد الناس وهدايتم , فان غيبة الامام تناقض هذا الغرض , لان الامام الذي قد غاب عن الانظار ولا توجد اية وسيلة للوصول اليه , لا يترتب على وجوده اي نفع او فائدة , واذا كان الله سبحانه يريد اصلاح البشرية بواسطة شخص , فانه لقادر على خلقه عند اقتضا الضرورة لذلك , ولا حاجة الى خلقه قبل وقته وقبل الاحتياج اليه بلاف السنوات .
الجواب : ان مثل هؤلا لم يدركوا حقيقة معنى الامامة , واتضح في مبحث الامامة , ان وظيفة الامام ومسؤوليته لم تنحصر في بيان المعارف الالهية بشكلهاالصوري , ولم يقتصر على ارشاد الناس من الناحية الظاهرية , فالامام فضلا عن توليه ارشاد الناس الظاهري , يتصف بالولاية والارشاد الباطني للاعمال ايضا, وهو الذي ينظم الحياة المعنوية للناس , ويتقدم بحقائق الاعمال الى الله جل شانه .
بديهى ان حضور او غيبة الامام الجسماني في هذا المضمار ليس له اي تاثير,والامام عن طريق الباطن يتصل بالنفوس ويشرف عليها, وان بعد عن الانظار وخفي عن الابصار فان وجوده لازم دائما, وان تاخر وقت ظهوره واصلاحه للعالم .
الخاتمة :

البلاغ المعنوي للشيعة

البلاغ المعنوي للشيعة الموجه للناس كافة , لا يزيد على جملة وهي ((اعرافواالله)) وبتعبير آخر, اسلكوا طريق معرفة الله كي تسعدوا وتفلحوا, وهذه هي العبارة التي قالها النبي الاكرم (ص) في بداية دعوته : ((قولوا لا اله الا الله تفلحوا)).
كي يتضح هذا البلاغ نقول مجملا:
نحن البشر بحسب الطبع , نهوى الكثير من مناحي الحياة , ولذائذها المادية ,كالاكل والشرب والالبسة الفاخرة , والقصور والمناظر الخلابة والزوجات الحسناوات والاصدقا المخلصين , والثروات الطائلة , اما عن طريق القدرة والسياسة , والمقام واتساع السلطة والحكومة , او القضا على كل ما يخالف ماربنا الذي نطمح الى الوصول اليه .
ولكننا ندرك جيدا مع ما اوتينا من فطرة الهية , ان هذه الامور واللذائذ كلهاخلقت لاجل الانسان , لا ان الانسان خلق لها, ويجب ان تكون هذه في طلب الانسان ,لا ان يكون الانسان ساعيا في طلبها, واذا ما كان الهدف الغائي هو الغريزة والشهوات فهذا هو منطق الحيوانات والانعام , وما القتل والفتك والاطاحة بسعادة الاخرين الامنطق الذئاب , واما منطق الانسان فيبتني على العقل والعلم فحسب .
ان منطق العقل , والالتفات الى واقعنا, يدعونا الى اتباع الحق , لا اتباع الحق , لااتباع هوى النفس , ان انواع الشهوات وحب الذات والانانية , تعتبر حسب منطق العقل الانساني جز من عالم الطبيعة وليس لها اي استقلال , وعلى خلاف ما يتصوره الانسان من انه هو الحاكم للطبيعة والكون , ويظن ان الطبيعة الطاغية يجب ان تكون اداة طيعة له .
ان منطق العقل يدعو الانسان الى التفكر والتعمق في هذه الحياة الغابرة كي يتضح ان الوجود وما فيه لم يكن ليوجد من تلقا نفسه , بل ان الكون وما فيه يستلهم وجوده من منبع ومصدر غير متناه .
ولكي يظهر جليا فان الجمال والقبح والكائنات الارضية والسماوية والتي تظهربصورها الواقعية المستقلة في نظر الانسان , ما هي الا واقعيات تظهر الى الوجود بوجودواقعيات اخرى , وما ظهورها الا ظهور تلك الواقعيات وليست واقعيتها من نفسها, وكمان الواقعيات والقدرات العظيمة التي كانت تتمتع بالوجود امس لم تصبح الا اسطورة ,فكذلك الواقعيات اليوم ايضا, والنتيجة ان كل شي في حدوده وعند نفسه لا يتجاوزالاسطورة .
ان الله جل وعلا هو الواقعية التي لا تزول , وكل ما فى الوجود يستمد وجوده منه , ولولا وجود الله لما ظهرت هذه الواقعية الى الوجود.
وعندما يتسلح الانسان بهذه المعرفة , عندئذ لا يشاهد وجوده اكثر من فقاعة ,فيرى ببصيرته ان العالم والعالمين , يرتكزان على وجود غير محدود, وغير متناه من حيث الحياة والقدرة والعلم والكمال المطلق , وما ظهور الانسان وسائر ظواهر العالم الانوافذ شتى , وكل حسب امكاناته يدل على العالم الاخروي وماورا الطبيعة .
وعندها يفقد الانسان كل اصالة واستقلال لنفسه , وكذا كل كائن ويردها الى صاحبها الاصلي والاصيل , ويتصل القلب بالله الاحد, ولا يستسلم لشي سوى لعظمة الله تعالى وكبريائه .

وعندها يستقر الانسان تحت قدرة الله الخالق وهيمنته , فكل ما يتعرف يعرفه مقترنا بمعرفة الله تعالى , ويتصف بالاخلاق الفاضلة والاعمال الحسنة (الاسلام ,والتسليم للحق الذي هو الفطرة) برعاية الله وعنايته . وهذه هي الدرجة الرفيعة والكمال الانساني ومقام الانسان الكامل , اي مقام الامام , والذي قد وصل اليه وناله برعاية من الله تعالى وعنايته , والذين يسعون للوصول الى هذه المرتبة الرفيعة والكمال الشامخ , مع اختلاف في درجاتهم يعتبرون التابعين الحقيقيين للامام .
ويتضح مما سبق , ان معرفة الله تعالى ومعرفة الامامة , لا تنفصلان , كما ان معرفة الله ومعرفة النفس لا تنفصل احداهما عن الاخرى , ان الذي عرف وجوده المجازي ,سيكون عارفا بوجود الله الغني .